الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي-تيسمسيلت-

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

دراسة كتاب:

في بلاغة الخطاب الإقناعي

مدخل نظري و تطبيقي لدراسة الخطابة العربية

(الخطابة في القرن الأول نموذجا)

لمحمد العمري

إعداد الطالبتين:

-مبارك زينب

- نواور سعيدة

إشراف الأستاذ:

د/ غربي بكّاي

اللجنة المناقشة:

د	م. ج . تيسمسيلت	رئـــــــــــيسا
د	م. ج . تيسمسيلت	عضوا مناقشا
د . غربي بكّاي	م. ج . تيسمسيلت	مشرفا ومقررا.

السنة الجامعية: 1437•1438/2016•2017

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير.

إن واجب الوفاء والعرفان بالجميل يدفعنا إلى

أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ

الفاضل: الأستاذ الدكتور غربي بكاي الذي أولانا عناية خاصة

وتفضل بالإشراف علينا في مراحل إنجاز هذا البحث

فكان المثل الأعلى والقدوة المثلى

والمنهل الذي لا ينضب من العلم والمعرفة

فبارك الله له في علمه وصحته وأمدّه بالعمر المديد ليظل ما عهدناه

من خدمة العلم

والدعاة إلى نبل الأخلاق.

كما لا يفوتنا شكر جميع الأساتذة الذين قدّموا لنا يد العون من قريب أو بعيد.

إهـــــداء.

أهدي عملي هذا إلى الشمعة التي أنارت دربي

وفتحت لي أبواب العلم والمعرفة، إلى أعز إنسانة في الوجود

وقدوتي في الحياة، إلى الصدر الحنون أمي الحبيبة.

و إلى الذي سعى جاهدًا إلى تربيتي وتعليمي، أبي الحنون.

و إلى إخوتي وأحبتي: نور الدين، كريم، نور الهدى.

و إلى جميع أفراد أسرتي.

و إلى من جمعتني بهم الأقدار، وعشت معهم أجمل الأوقات صديقاتي.

و إلى كل من عرفني وأحبني.

سعيدة.

إهـــــداء

إلى روحي أمي الطاهرة

إلى والدي أطال الله عمره

إلى جميع أفراد أسرتي

إلى جميع الزملاء.

زينب.

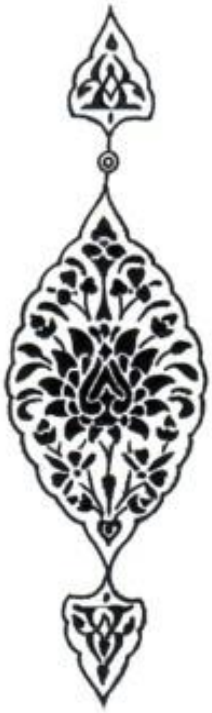

مقدمـــة

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يُحيون بكتاب الله الموتى، ويُبصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس أحيوه؟ وكم من ضال قد هدوه؟ فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم والصلاة والسلام على من بعث بالدلائل الواضحة، والحجج القاطعة، والبراهين الساطعة بشيرا ونذيرا وداعيا الله، وسراجا منيرا، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمين.

إنّ نعم الله لا تعد ولا تحصى وأفضاله على عباده أكثر من عدد أنفاسه، ولكنه تعالى يصطفي منهم أناسا اختارهم لتبليغ وإرشاد الآخرين،و اتخذوا من الحوار و الخطابة وسيلة يُبلِّغون بها أفكارهم، و يقنعون المشككين...

فالأمثلة لدى العرب والمسلمين أكثر من أن تحصى وأروع من أن توصف، فقد أتقنوا حسن أدائها والتعامل معها، ثم جاء من بعدهم فوضعوا لها القواعد والأصول والضوابط؛ وربما كانت أقدم الفنون الأدبية، فالهمج متمدنون في حاجة إلى الخطيب يناشد فيهم حميتهم ووطنيتهم لذود العدو الجائح أو للغارة على جار مستضعف أو استرداد حق مسلوب أو اغتصاب ملك جديد.

والخطابة نمط من أنماط النثر الفني يعتمد مشافهة الجمهور، ويهدف إلى الإقناع والاستمالة والتأثير في نفوس السامعين، وقد اتخذها الأنبياء والمصلحون أداة مهمة في نشر تعاليمهم، وشد الناس إليهم، وترتقي الخطابة وتنمو بارتقاء الحياة الاجتماعية ونموها، لذلك ازدهرت في بلاد اليونان ونمت نموا عظيما عندما اتخذها الخطيب اليوناني وسيلة للوصول إلى السلطة.

ولعل أرسطو هو أول من أرسى قواعد هذا الفن وأصوله، حين قسّمها ثلاثة أقسام هي : المشورية، والمشاجرية والبرهانية؛ وأول كتاب في فن الإلقاء هو له ،وأول من دون علم الخطابة هم اليونان،وأول خطيب مشهور هو فرعون ﴿**وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾**﴾(الزخرف51).

وقد وجد العرب في الخطابة خير وسيلة للحث على القتال، وإثارة الحماس، واجتلاب النفع، واتقاء الشر، ومقارعة الظلم،وحقن الدماء،ولهذا عنوا بها عناية فائقة.

والجدير بالذكر أنّ مجمل الخطب كانت تستتبع أغراضا تتشعب عن المجتمع الذي يخاطبه الخطباء، وقد تحدثت مجمل الدراسات عن تطور فن الخطابة في القرن الأول، وما يتعلق بها من أسس ومفاهيم:كوعظ، وإرشاد، وحث وترغيب وترهيب، واستخدام بعض الأساليب منها الحجاجي والإقناعي، والتقريري والعاطفي.

نظرا لما تكتسيه الخطابة من فوائد اجتماعية كالحث على الأعمال التي تعود بالنفع على المستمعين والتنفير من الأعمال السيئة على الفرد والمجتمع، والتعليم والتثقيف، وكذا فوائدها الشخصية كونها فرصة للاتصال المباشر مع الناس ، ومجال لبناء العلاقات، وإتقان مهارة جديدة تحتاج إليها معظم المهن، فموضوع بحثنا هذا هو دراسة في كتاب "في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية) الخطابة في القرن الأول نموذجا" للدكتور محمد العمري، و قد طرحنا جملة من الأسئلة منها:

- مامعنى الخطاب الإقناعي؟

_ ما هي أسس بلاغة الخطاب الإقناعي؟

_ كيف عرف أرسطو الخطابة؟

_ ماهي أسس تصنيف الخطابة عند أرسطو؟

_ ماهي أنواع الخطابة، وماهي أبرز المحاور التي تناولتها؟

_كيف يكون أسلوب الخطيب مؤثرا؟

-ما الإضافة التي قدّمها الكتاب في الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه؟

للإجابة على هذه الإشكالات اتبعنا الخطة الآتية :

المقدمة وفيها مهّدنا للموضوع، المدخل : عرضنا فيه لمجموعة من النقاط أهمها: لمحة موجزة عن حياة الكاتب ودواعي تأليف الكتاب، وكذا الحقل المعرفي الذي تنتمي إليه الدراسة وقسّمنا الموضوع إلى فصلين : الفصل الأول: في أسس تصنيف الخطابة وأنواعها، يندرج تحته أربعة مباحث، المبحث الأول : أسس تصنيف الخطابة المبحث الثاني: الخطابة الدينية التعليمية والسياسية، المبحث الثالث: الخطابة في الموضوعات الاجتماعية وشؤون الحياة ،المبحث الرابع : الجانب الدلالي، وإيقاع النص الخطابي، أمّا الفصل الثاني فهو بعنوان: تقسيمات الخطابة في القرن الأول، وترتيب أجزاء القول اندرج تحته أربعة مباحث : المبحث الأول: أنواع الخطب (الخطب المسجوعة وخطب بين السجع والازدواج وخطب مرسلة)، المبحث الثاني :في ترتيب أجزاء القول،وخطبة الحجاج ، المبحث الثالث: دراسة ونقد، المبحث الرابع: نماذج من الخطب وختمنا العمل بخاتمة موجزة احتوت مجموعة من النتائج معتمدين جملة من المصادر والمراجع، وقد وظّفنا المنهج الوصفي في عرض سيرة الكاتب والمنهج الوصفي في التطرق لبعض المفاهيم وكذا المنهج التحليلي يظهر في الفصل الثاني، وكأي بحث واجهتنا جملة من الصعوبات نذكر منها: صعوبة التحكم في المادة العلمية، وكذا حصر الموضوع وتسييجه وأخيرا نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ غربي بكاي الذي لم يدخر جهدا في سبيل توجيهنا وإرشادنا، وإلى كل من بسط لنا يد المساعدة من أساتذة وزملاء.

الطالبتان:

مبارك زينب.

نواورسعيدة.

تسمسيلت في:2017/05/01

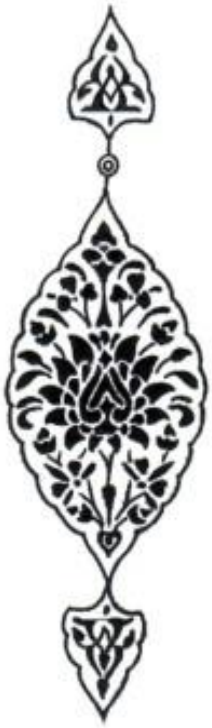

بطاقة فنية

بطاقــة فنـــيّة

عنوان الكتاب: في بلاغة الخطاب الإقناعي "مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية" (الخطابة في القرن الأول نموذجا).

اسم المؤلف: محمد العمري.

دار النشر: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

البلد: الدار البيضاء. المغرب.

السنة: 1986م.

الطبعة: الأولى.

الحجم: متوسط.

عدد الصفحات: 159 صفحة.

لون الغلاف: أبيض اللون.

نوع الخط: الخط الكوفي.

عدد الفصول: ثلاثة فصول.

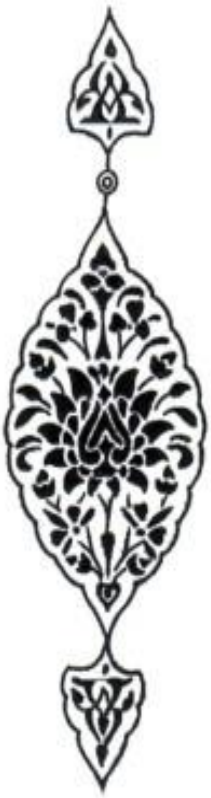

مدخـــل

مدخل لدراسة كتاب [في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية) الخطابة في القرن الأول نموذجا] لدكتور محمد العمري.

لقد تداخلت الخطابة والتبست خلال مولدها بالشعر والفلسفة، حيث سعى أرسطو إلى التفريق والتمييز بينهما بأن ألّف كتابا في الخطابة وآخر في الشعر، وهنا محمد العمري يحذو حذو أرسطو في فهمه للخطابة والشعر، في كتابه "بلاغة الخطاب الإقناعي"، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية (الخطابة في القرن الأول نموذجا).

محمد العمري من مواليد سنة 1945م بسكورة جنوب المغرب، حصل على دبلوم الدراسات العليا سنة (1981م)، ثم دكتوراه الدولة في الآداب سنة (1989م) من جامعة محمد الخامس بالرباط، حيث يعمل حاليا أستاذا للبلاغة والنقد الأدبي.[1]

كما شارك الدكتور محمد العمري أستاذ البلاغة والتحليل الخطاب بالمملكة المغربية في الدورة الثامنة لملتقى الشارقة للشعر العربي بدولة الإمارات العربية المتحدة خلال الفترة من 31 يناير إلى 06 فبراير 2010، من خلال ورقة بحث قدّمها في المحور النقدي المصاحب للملتقى " الرؤية البلاغية والأسلوبية في قراءة النص الشعري.[2]

ويرأس العمري حاليا وحدة البلاغة الجديدة والنقد الأدبي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط منذ عام 2000م، وسبق له أن ترأس وحدة النقد القديم بكلية الآداب والعلوم الإنسانية "أبقاس" سنة (1998-2005).

وهو عضو اتحاد كتاب المغرب، وخبير معتمد لدى اللجنة الوطنية لمنع الاعتماد في الدراسات العليا والدكتوراه التابعة لوزارة التعليم العالي منذ عام 1997م.

1- د.محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، (الخطابة في القرن الأول نموذجا)، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، ط2،الغلاف الخارجي للكتاب.

2- الموقع الالكتروني:www. medelomari. Net، يوم22فيفري 2017، على الساعة 02:30.

وحصل على جائزة المغرب الكبرى للكتاب عام 1990، وجائزة مؤسسة الملك فيصل العالمية فرع اللغة والكتاب عام 2007م، وله العديد من المؤلفات والتحقيقات والترجمات.[1]

ومن أهم مؤلفاته:

1. تحليل الخطاب الشعري: البنية الصوتية، سنة 1990م.
2. اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي القديم سنة1990م.
3. الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية، سنة1991.
4. الافرائي وقضايا الثقافة والأدب في مغرب القرنين 17و 18م سنة 1992م.
5. بنية اللغة الشعرية جان كوهن، (ترجم بمشاركة د. محمد الولي) سنة 1986م.
6. نظرية الأدب في القرن العشرين،(مقالات مترجمة)، سنة 1996.
7. تحقيق: المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل، محمد الافراني، سنة 1997م.
8. البلاغة الجديدة بين التخييل والتأويل عن إفريقيا الشرق، سنة2005.
9. منطق رجال المخزن وأوهام الأصوليين عن منشورات وادي الحجاج، سنة 2009م.
10. البلاغة العربية، أصولها وامتدادها، سنة 1999م.
11. دائرة الحوار ومزالق العنف، سنة 2002م.

ومن الدوافع التي أثارت في روح المؤلف البحث هي اللبس الذي يكشف فهم النص الخطابي الإقناعي حيث إنّ الدارسين والمدرسين ألفوا معاملة النص الخطابي الإقناعي معاملتهم للنص الشعري أو أي نص آخر، وهذا يتنافى مع روح البحث ومنهجيته، والمسلّم به أنّ طبيعة تناول المواضيع تقتضي أخذ ذلك بعين الاعتبار من أجل تحديد منهج تناوله.

1– – الموقع الالكتروني:www. medelomari. Net، يوم22فيفري 2017، على الساعة 02:30.

واستدلّ الكاتب بعمل لأرسطو فرّق فيه بين الخطابة والشعر وتقصاه في ذلك الفلاسفة المسلمون مراعين في ذلك طبيعة كل من الشعر الهادفة إلى التصديق حسب الأحوال والاحتمال.[1]

ويرى الكاتب أنّ دراسة الخطاب الإقناعي دراسة شعرية لا تعدم الشرعية بصفة مطلقة فالمشترك بينهما هو عنصر التأثير والإقناع، والتي يستغني عنها الخطيب في غالب الأحايين، وهو يرى في عمله هذا سدا للفراغ الذي يحسه في نفسه دون تهميش للبلاغة العربية أو بعد عن النص الخطابي العربي.[2]

ولما رأى المؤلف الدارسين الغربيين المحدثين الذين لهم أثر في هذا المجال يستنيرون بآراء أرسطو زادت رغبته واقتناعه بإمكانية تأطير اجتهادات البلاغيين العرب بالإطار العام للنظرية الأرسطية وإثراء ذلك باجتهادات وإضافات البلاغيين ودراسي الخطاب الإقناعي من غير العرب في القديم والحديث في حدود ما يقتضيه حجم العمل وغرضه.

يهدف الباحث في هذا الكتاب إلى التنبيه للبعد الإقناعي للبلاغة العربية، هذا البعد الذي كان حاضرا عند الجاحظ على وجه الخصوص، ثم نُسي مع هيمنة صياغة السكاكي للبلاغة العربية.[3]

لقد كان المؤلف ملتزما بالأمانة العلمية باعتبارها شرطا أساسيا من شروط الباحث الحقيقي فنجده يستشهد في عرض أفكاره بمجموعة من العلماء أمثال: أرسطو، وأفلاطون وغيرهم ممكن كان لهم باع في هذا المجال.

وقد اعتبر الكاتب أنّ عمله هذا بداية لبحث واسع متعدد الجوانب، فالكاتب يقدم قراءة إشكالية للخطابة العربية في مرحلة تميزت بدينامية حوارية فريدة في التاريخ العربي مرحلة تكوّن الأحزاب، بداية نشوء المذاهب.

1– د. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي، (مرجع سابق)،ص05.

2– المرجع نفسه، ص06.

3– الموقع الالكتروني: www. Medelomari. Net يوم 22 فيفري 2017 على الساعة 02:30.

إنها قراءة في ضوء بلاغة الإقناع وتاريخ الخطاب، فبالرغم من كون العمل في مظهره عملا تطبيقيا، فإنّه يحمل همَّ تنظير بلاغة الإقناع، كما يحمل همّ تفسير فاعلية الخطاب في ضوء المقام الحضاري العام، والمقامات النوعية الخاصة: اجتماعية، سياسية ودينية.[1]

وحينما نلتفت إلى المصادر والمراجع التي استقى منها الكاتب مادته العلمية، نجد أنّها مسايرة ومجارية للمضمون، فقد أخذ من بطون أمهات الكتب مثل:

1. الأساس: أساس البلاغة، محمود الزمخشري.
2. الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق لجنة من الأدباء.
3. أمثال العرب، المفضل محمد الضبي، تحقيق إحسان عباس.
4. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، تحقيق طه الزيني.
5. البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون.
6. البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق السندوبي.
7. البرهان، الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل.
8. البرهان في وجوه البيان، إسحاق بن إبراهيم ابن وهب، تحقيق حفني محمد شرف.
9. تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري.
10. تطور الأسلوب النثري في الأدب العربي، أنيس المقدسي.
11. تخليص الخطابة، ابن رشد.
12. الجدل في القرآن، محمد التومي.
13. جرجياس، أفلاطون، نقله إلى العربية أديب نصر تحت عنوان (الخطيب).
14. جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت.[2]

1– د. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي، (مرجع سابق)، الغلاف الخارجي.

2– المرجع نفسه، ص152– 153.

15. جمهرة رسائل العرب، أحمد زكي صفوت.
16. الحياة العلمية في الشام، خليل ازرو.
17. الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون.
18. الخطابة، أرسطو الترجمة العربية القديمة تحقيق بدوي.
19. الخطابة العربية في عصرها الذهبي، إحسان النص.
20. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، الحسن بن رشيق.[1]

لقد طبّق الباحث في كتابة هذا التصور البلاغي "لبرلمان" و"أو بريخت"*لعمقه وبساطته وارتباطه مباشرة بأرسطو مما يسمح باستيعاب الجاحظ بيسر كما يقال على الخطابة العربية في القرن الأول الهجري مجتهدا في كشف آلياتها الإقناعية التي تميزها عن الشعر.

لقد وضع المؤلف في هذا الكتاب نصب عينيه الخطابة في الجاهلية والإسلام سياسة ودينية واجتماعية حيث بحث في مقامها، واستخرج صور الحجاج منها وفصل في دراسة الأسلوب ،وطعم الباحث الكاتب بنموذج عام بيّن فيه طريقة استخراج البراهين الخطابية ودراسة الأسلوب وتنظيم أجزاء القول في خطبة الحجاج لأهل الكوفة ولأهل الشام.[2]

والحديث عن فن الخطابة والخطاب الإقناعي ليس وليد الراهن، فقد وجدت له لمسات في أعمال أرسطو وأفلاطون، ودليل ذلك حمل العمري في مؤلفه أراء أرسطو في هذا المجال.

يقول د. محمد العمري :" فبالنظر في خطبة البيان والتبيين للجاحظ في حديثه عن أنواع الدلالة على المعاني، وبالنظر إلى ما فهمه قراؤه مثل: ابن وهب كما تقدم، يسوغ لنا القول بأنّ الجاحظ وصل إلى

1– محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)، ص153– 154.

*** يعد المؤلف مبحث في الحجاج، الخطابة الجديدة، لشيام بيرلمان(chaimperelman)، ولوسي أولبرختتيتيكا(–lucie ollrechtstyteca) الذي نشر في 1958 أوج ما توصلت إليه المدرسة البلجيكية.**

2– ابتسام بن خراف، تلقي النص البلاغي عند الدكتور محمد العمري مقاربة وصفية تحليلية، مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، ص52.

بلاغة الخطاب الإقناعي من خلال البحث في المعرفة بصفة عامة، كيف نفهم وكيف نفهم؟ بلاغة قوامها الاعتدال في استعمال الصور البلاغية حسب الأحوال والمقامات، مع توظيف كل الإمكانيات المسعفة، واعتماد ذخيرة معرفية شديدة التنوع من النصوص الأدبية والدينية والأخبار والأمثال والحكم (ثقافة الخطيب).[1]

وهذا إن دلّ إنّما يدل على أنّ الدكتور محمد العمري لم يكن له السبق إلى هذه الدراسة وأنّه ارتكز على أعمال سابقيه في إثراء بحثه هذا.

ولقد ازدادت الحاجة إلى مثل هذه القراءة البلاغية التاريخية في الواقع الخطابي الراهن الذي يتميز بحيوية كبيرة ويحتاج بدوره إلى اجتهاد خاص لكشف خصوصياته، فهذا العمل يقدم فضلا عن قيمته الذاتية، فرصة للمقارنة والتأصيل.[2]

1– د. محمد العمري، البلاغة وأصولها وامتدادها، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص24.

2– د. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)، الغلاف الخارجي.

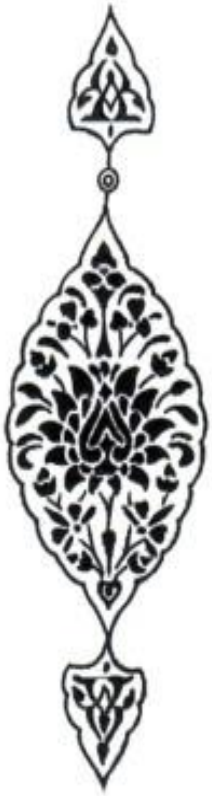

الفصل الأول

في أسس تصنيف الخطابة وأنواعها

المبحث الأول: أسس تصنيف الخطابة.

تعريف الخطابة:

يذكر محمد العمري في تعريف الخطابة مايلي:

تحيل مادة (خطب) ومشتقاتها في المعاجم العربية على معاني منها.

1. الشأن أو الأمر الذي تقع فيه المخاطبة صغر أو عظم فيقال: خطب وخطوب.
2. "المواجهة بالكلام أو مراجعة الكلام وهما الخطاب والمخاطبة"[1]

وجاء في معجم العين." الخطاب: مراجعة الكلام والخطبة مصدر الخطيب"[2]

و جاء في لسان العرب: "خطب: فلان إلى فلان فخطبه أي أجابه، والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان، والخطبة: مصدر الخطيب وخطب الخاطب على المنبر واختطب خطابة واسم الكلام: الخطبة"[3]

وجاء في "قاموس المحيط" أنّ الخطابة هي :"خطب الخاطب على المنبر خطابة بالفتح وخطبته بالضم وذلك الكلام أيضا، أو هي الكلام المنثور المسجع ونحوه، ورجل خطيب وجاء في "المعجم الوسيط" (خطب الناس، وفيهم وعليهم خطابة، وخطبة: ألقى عليهم خطبة والخطيب الحسن الخطبة ومن يقوم بالخطبة في المسجد وغيره)[4]،ومنه فإنّ مفهوم الخطابة في المعاجم اللغوية العربية يعني مراجعة الكلام بين طرفين مرسل ومتلقي أو هي الكلام المنثور يوحي دلالة مقصودة .

1– د. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)، ص13.

2– الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: عبد الحميد هنداوي مج: 01، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003،طع1، ص419.

3– ابن منظور، لسان العرب، مج: 05، دار صادر، لبنان، ط1، ص98.

4– إبراهيم مصطفى النجار، تح: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولي، طع:4، 2004، مادة خطب، ص 243.

وفي الاصطلاح :

يعرف أرسطو الخطابة حسب الترجمة العربية القديمة بقوله: "الريطورية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"،[1] إذن فالخطابة أساسها الإقناع، مما يعني أنّ أرسطو ربط الخطابة ربطا مباشرا بعنصر الإقناع.

وفي قول آخر: "صفة راسخة في نفس المتكلم، يقتدر بها على التصرف في فنون القول لمحاولة التأثير في نفوس السامعين، على ما يراد منهم بترغيبهم، وإقناعهم، "[2]فالخطابة هدفها التأثير في نفسية السامع، ومخاطبة ذاته وإثارة إحساسه للأمر الذي يراه منه فيسلم به تسليما .

يرى أرسطو أن :" الخطابة تقوم على الأدلة الظنية أو اليقين الوجداني من دون البرهان المنطقي الحاسم، فالخطابة كالأدب ليست علما ولا منطقا، وخصص أرسطو الخطابة بأنّها تعتمد المقاييس الاحتمالية والابتكار الذي يكشف الحقيقة المكتومة، " [3]إذن على المخاطب أن يوصل فكرته للمتلقي مرتكزا على إبداعه الذاتي .

عرف الخطابة المنطقيون والحكماء بأنها:" القياس المؤلف من المظنونات أو المقبولات لترغيب الناس فيما ينفعهم من الأمور معاشهم أو معادهم، والمظنونات هي الأمور التي يحكم فيها العقل حكما راجحا إتباعا لغلبة الظن كقولك: فلان يطوف الليل فهو لص، و المقبولات هي الآراء التي يكون مصدر التصديق فيها وقوعها ممن لا شبهة في صدقه مع كونها قابلة للأفكار"،[4]وعليه فالحكمة تقتضي أن يكون للعقل دور مهم لترغيب وإقناع الناس فيما يفيدهم.

1– محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)، ص16.

2– محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، دار الفكر، القاهرة، دط، دت، ص15.

3– إيليا الحاوي، فن الخطابة وتطوره عند العرب، دار الثقافة– لبنان، دط،د ت، ص27.

4– محمد أبو زهرة، (مرجع سابق)، ص15.

الخطابة "فن من فنون القول يخاطب به الجمهور، ويتجه إلى الإقناع و الاستمالة عن طريق السمع والبصر معا، فالقدرة على النظر في كل ما يؤدي إلى الإقناع أساس هذا الفن "[1]، ومنه فهي الكلام المنثور الذي يقصد به التأثير و الإقناع.

الخطابة : " فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع و الاستمالة"[2]، معنى ذلك أنّه ينبغي على المخاطب التأثير في السامع و استمالته، لقد عرفت الخطابة بتعريفات كثيرة لكننا لا نتلمس فيها تباعدا بيّنا، سوى أنّ بعضها ليس جامعا لكل أنواع الخطب، ولعل مجموع هذه التعاريف تلخص في كون الخطابة: فن نثري يستدعي خطيباً متميزاً وسامعاً منصتاً، غرضها الإقناع واستمالة الآراء من أجل تأييد القضية المراد إثباتها.

فكل هذه التعاريف تشترك في نقطة واحدة هي:أنّ للخطابة عناصر أساسية تتشكل في مجموعها عملية نجاح الخطبة وهي:" قدرة الخطيب على استخدام الأدلة التي تظهر حجة الحكم واعتماد الخطيب التعريف في جذب اهتمام السامعين، وبراعته في استخدام المقابلة والأمثال كما ينبغي سلامة لسانه عند الإلقاء".[3]

وعليه فالخطبة الناجحة لا تتحقق إلاّ إذا اتبع الخطيب تلك العناصر، "وقد راعى أرسطو في حديثه عناصر بناء الخطاب الأطراف الثلاثة المكونة له والمساهمة في فعاليته وهي:

المرسل (الخطيب)، والمتلقي (المستمع)، والرسالة (الخطبة)،[4] معنى ذلك أنّ كل الدراسات التي بحثت الخطابة اتفقت على عناصر تكاد تشترك في نجاح الخطبة والتي يراعي فيها المحاور الأساسية الثلاثة في الخطاب وهي:

1– حسن فالح البكور وآخرون، فن الكتابة وأشكال التعبير، دار جرير للنشر والتوزيع، طع1، 2010، ص290.

2– عبد الجليل شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق1981،طع1، ص13.

3– حسن فالح البكور وآخرون، (مرجع سابق)، ص191.

4– محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)، ص19.

رسالة

المرسل ← المرسل إليه

فكلما كان الخطيب ذو ثقافة عميقة، وسعت معارف، و أدلته و براهينه واضحة تمكن من تبليغها إلى قلب السامع، فإنّ الخطبة ناجحة لا محال، والحكم فيها يقينيٌّ.

- **أسس بلاغة الخطاب الإقناعي:**

تهدف الخطابة إلى الإقناع باستعمال الحجج والبراهين اليقينية إذ ليس الهدف منها هو: الإلزام و الإفحام فقط، بل مرماه حمل المخاطب على الإذعان و التسليم و إثارة عاطفته وجعله يتعصب للفكرة التي يدعو إليها الخطيب.

يرى أرسطو أنّ عناصر بناء الخطابة ثلاثة:" وسائل الإقناع(البراهين)، الأسلوب(البناء اللغوي) ترتيب أجزاء القول"[1]، تعد البراهين، الأسلوب و أجزاء القول عناصر أساسية في بناء الخطبة لدى أرسطو.

" ولقد نظر أرسطو في حديثه عن عناصر بناء الخطاب إلى الأطراف الثلاثة المكونة له والمساهمة في فعاليته وهي: المرسل (الخطيب) والمتلقي (المستمع) والرسالة (الخطبة)، فكتابه الأول وهو كتاب الخطيب عالج فيه مفهوم البراهين بحسب تعلُّقها بالخطيب، ومدى انسجامه مع الجمهور، والكتاب الثاني هو كتاب المتلقي عالج فيه عددا من الانفعالات والأهواء وكذا بعض البراهين، أمَّا الكتاب الثالث فقد تعلق "بالرسالة نفسها" عالج فيه الأسلوب أو البيان أي الصور البلاغية، وتنظيم أجزاء القول".[2]

1- ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)، ص17.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص19-20.

فما يقصده أرسطو بوسائل الإقناع، يعني الانتقاء السليم للحجج والبراهين اليقينية التي يتقبلها العقل ويفهمها ويترجمها إلى ردة فعل إيجابية، وينبغي أن تكون ملائمة للقضية التي يريد السامع ، أمَّا الأسلوب فيقصد به استعمال اللغة الواصفة بتقنية فنية راقية وأسلوب أدبيٍّ بليغ، وترتيب أجزاء القول بتنظيمها وتناسقها وتسلسلها، لأنَّ الترتيب مهم ليستطيع المستمع استيعاب المقصود.

- **الحجج والبراهين الخطابية.**

إنَّ الخطابة كسائر الفنون تستلزم أدلَّة وبراهين مقنعة، ونعني بالإقناع: عملية تغيير أراء أو معتقدات أو ترسيخ أفكار لدى الملتقي المراد إثباتها.

وعليه قد" قسَّم أرسطو الحجج إلى قسمين: فمنها بصناعة التي تكون بشهود والعذاب، والكتب والصكاك وأخرى بغير صناعة فهذه تكون بحيلة من أنفسنا، فمنها ما يستعمل ومنها ما يستخرج"[1] و عليه الحجج بصناعة هي حجج جاهزة تتمثل في الشواهد و البراهين، أمّا بغير صناعة هي مستكشفة تتمثل في الحيل التي يعتمدها الخطيب.

"إنّ الحجّة المقوّمة هي دليل يأخذ بالفعالية التخاطبية في تعلّقها بالمتكلم والمستمع مع، أي دليل يأخذ بمبدأ التفاعل الخطابي"،[2]إذن الخطابة ينبغي أن تؤسس على حجج مقنعة، حيث تعتمد الحوار الهادئ، وينبغي أن تتجاوز مجرد المدح والهجاء، وأن تكون الحجة من أهم عناصر البناء فيها وليس أضعافها.

وفي قول آخر: "فأمّا التصديقات التي تكون بالصناعة فلا يخبرن عنها بشيء، وهذه إنَّما تكون من قبيل التفكير، ومن أجل هذا ما يقول على أنَّ الحيلة أو الصناعة في التفسير و التشاجر واحدة، وأنَّه إذا كان التشاجر فوليطيا، أي مدنيا فهو خير وأشرف مذهبا من التفسير الذي في الأخذ والإعطاء فأمَّا هؤلاء فلم يقولوا في التفكير شيئا، لكنهم يتكلفون بتزويق الكلام أن يضعوا الحكم في كل شيء

1- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)، ص21.

2- عبد الرحمن طه، التواصل والحجاج، المملكة المغربية جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة المعارف الجديدة، ص16.

من الأشياء ... ومن أجل أنّه معلوم أنّ هذه الحيلة والصناعية، إنما توجه نحو التصديقات و التصديق إنّما يكون بالتثبيت ... فأمّا سائر الصناعات فليس شيء منها يسلجس في المتضادين إنّما تفعل ذلك الديالقيطية و الريطورية فقط، فإنهما جميعا متهيئان للمتضادين كليهما بحال واحدة... لكنها إذا كانت من اللاتي هي أصدق و أفضل في الطبيعة كانت السلجسة والإقناع أفضل و أشفى ".[1]

هذا القول يوافق تماما ما نقله محمد العمري عن أرسطو في باب التصديقات بصناعة وبغير صناعة، كما يبين أهمية التصديقات بغير صناعة كمثل الشهود والعذاب والكتب والصكاك ودورها في الإقناع والإفحام.

وفي وجه آخر:" نجد سعدية لكحل نقلت عن الدكتور عبد الرحمان الذي أقام تقابلا بين الدليل البرهاني والدليل الحجاجي، في سياق حديثه عن تعدد الأدلة أو القيم الاستدلالية، وقد اعتبر الأقدمون البرهان المبني على مقدمات يقينية وهي قضايا معطاة ابتداء، وهي الضروريات و البديهيات وإمّا قضايا مبنية بواسطة قضايا ضرورية أو يقينية بناء قريبا أو بعيدا وهي النظريات، أمّا المحدثون فاعتبروا البرهنة عبارة عن الاستنتاج بواسطة قواعد محددة سلفا من قضيا على نوعين: هما المسلمات أو (المصادرات) والنظريات أو (المبرهنات)"[2].

إذن هذا القول يلخص ما ذهب إليه أرسطو ويشرحه في باب التصديقات بالصناعة وبغير الصناعة فماهي بالصناعة ضروريات أو بديهيات، وماهي بغير صناعة نعتبرها النظريات .

نخلص إلى أنّ: الحجج والبراهين الخطابية إمّا أن تكون معطاة ابتداء، وإمّا مبنية بناء قريبا أو بعيدا وهذا ما لاحظناه لدى أرسطو، والذين جاروه الفكرة وأيدوه الرأي.

1– ينظر: أرسطو طاليس، الخطابة الترجمة العربية القديمة، تح: عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيرو–لبنان– ص،6–7.

2– سعدية لكحل، الحجاج في خطابات النبي إبراهيم عليه السلام، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر، تخصص أدب عربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزوا، ص 09.

البراهين (invention)[1]

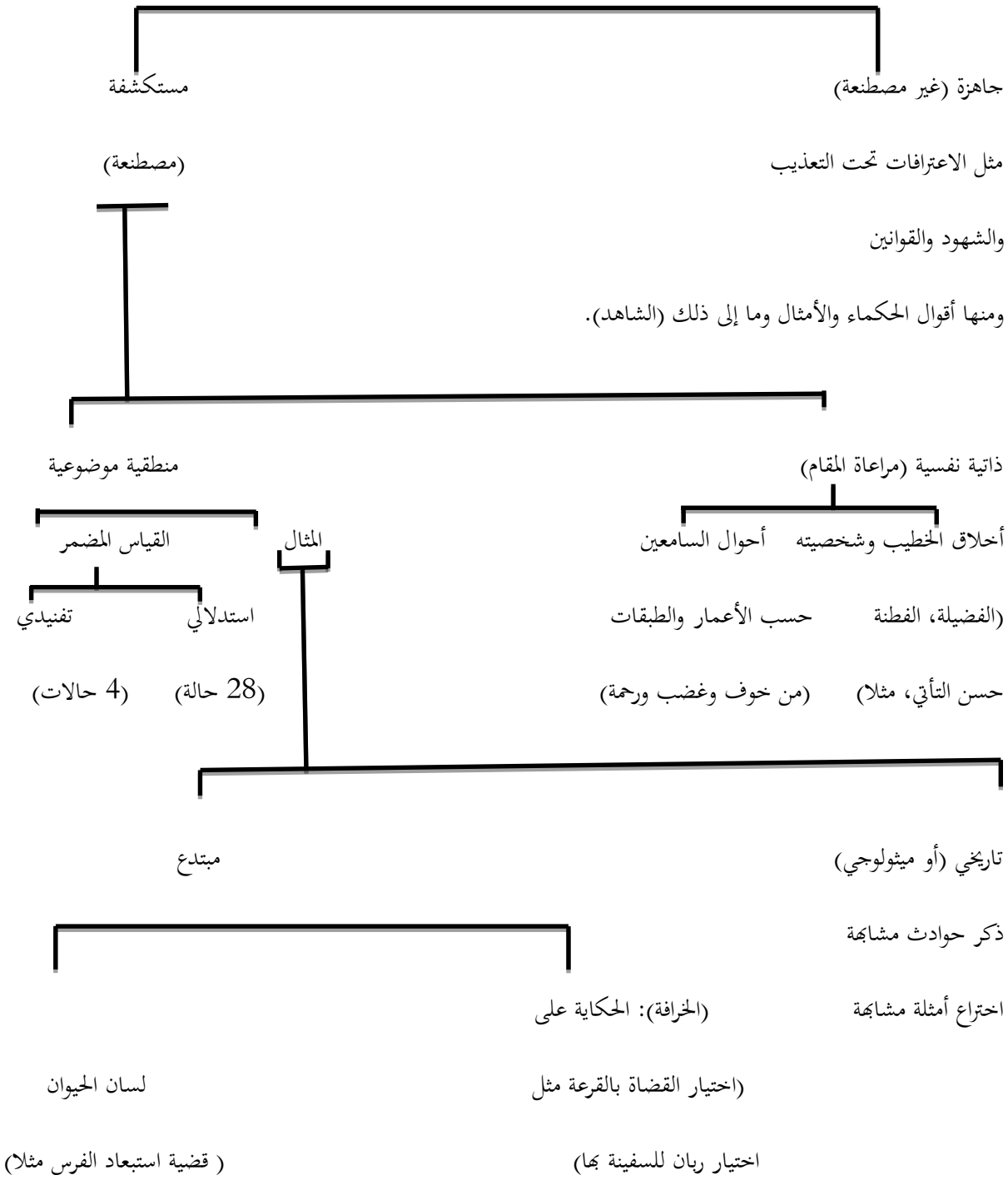

1- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي،(مرجع سابق)،ص 42.

ففي هذه الخطاطة تتوضح أنواع البراهين بين: ماهي جاهزة (غير مصطنعة)مثل الاعترافات تحت التعذيب، والشهود والقوانين، وماهي مستكشفة (مصطنعة) منطقية موضوعية تراعي المقام وفيه(أحوال السامعين، وأخلاق الخطيب)، تعتمد المثال والقياس المضمر.

مراعاة المقام:(عناصر التأثير النفسية).

من عوامل نجاح الخطبة ينبغي على الخطيب أن يتسم بقيم ومبادئ وحسن الإلقاء، وبهذا يؤثر في مستمعيه ويستميل عواطفهم، إذ" يرى أرسطو أنّ الخطيب الذي تتوفر فيه الفضيلة والفطنة والتلطف للسامعين يوحي بالثقة إلى من يسمعونه، فالخطيب يجب أن يعرف الأحوال العاطفية لمستمعيه من غضب ورحمة وخوف، وما يصاحبهما من لذة وألم حسب الأعمار والطبقات"،[1]على الخطيب أن يتميز بجملة من الصفات الحميدة التي تبعث الثقة في نفوس مستمعيه.

" والخطبة المعدة موضوع إنشائي يستدعي من الخطيب أن يفكر فيه تفكيرا مناسبا للحادث الذي تلق فيه الخطبة، يفكر في عناصره واحا بعد واح ثم يعمل على ترتيبها أيها يبدأ به وأيها ينهي به كلامه، ولا يكفي التفكير في المعاني بل عليه أن يفكر أيضا في العبارات التي يعبر بها، وفي طريقة مواجهة الجماهير بها"[2]، فإّن لكل مقام مقال.

"فعلى الخطيب أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين في حالاتهم المختلفة فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار الحالات ومراعاة المقام مدار الإيجاز والتطويل ولا يصح أن يستعمل الخطيب ألفاظ خاصة في مخاطبته للعامة، ولا كلام الملوك مع السوقة".[3]

1– د. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)، ص25.

2– عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب (مرجع سابق)، ص57.

3– محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص198.

من ذلك يعتبر عنصر مراعاة المقام من عناصر نجاح الخطبة، فالخطيب ملزم بانتقاء العبارات الواضحة التي تخدم موضوع خطبته مراعيا نفسية المخاطب، لأنّه عنصر فعال ومستهدف فقابليته مرتبطة كل الارتباط بمدى بلوغ رسالة الخطيب باعتباره الحكم الأول على جودة الخطبة وبلوغها الهدف المنشود.

وتكون الخطبة بليغة، إذا راعى فيها الخطيب أصناف المخاطبين ومستوياتهم المختلفة، وظروف الزمان والمكان، فخطبة الجمعة في أي بقعة من بقاع الأرض، وفي أي شهر من الشهور تختلف عن خطبة يوم عرفة وخطبتي العيدين.

وكلما كان المرء مراعيا في مخاطباته وكتاباته لبلاغة الكلام ومقتضيات الأحوال كان أشد قولا وأكثر تأثيرا، وأقوى إقناعا، وأقدر على التواصل، وأقرب للقبول، وأبعد عن عثرات الكلام وسقطاته، مع التنبيه إلى أنّ مطابقة مقتضى الحال أمر نسبي، فلا يمكن لبشر أن يحيط بالأحوال جميعها، بل لا يمكن في الحال الواحدة أن يحيط بها ويدرك تمامها، فإنّ هذا لا يكون إلاّ لله الخبير القدير، قال الله تعالى: ﴿**ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥**﴾[1]، والحكمة: بمعنى كل واحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده.

والمقام يكون ضمن استخدام رسالة إعلامية فعالة لها القدرة على تغيير البناء النفسي للأفراد المستهدفين(الاحتياجات، المخاوف، التصرفات)، مما يؤدي إلى السلوك العلني المرغوب فيه، حتى وإن اعتمد القائم بالاتصال أساليب التضليل الإعلامي. والعامل النفسي في العملية الإقناعية باعتباره يحدد نجاعته، فعلى موجه الرسالة أن يمهد الطريق لدى المتلقي بإيجاد جو نفسي ملائم، وهو ما يعرف بالتهيئة النفسية.

1– سورة النحل، الآية 125.

"كما أنّ الخطيب ينبغي أن يكون على دراية بنفسية السامعين، بحيث يتعرف على مشاعرهم وما يروق لهم، ويميز بين ما يغضبهم ويهيجهم وما يعمل على تهدئتهم"[1]،إذن على الخطيب مراعاة الحالة النفسية لمستمعيه. " وانطلاقا من حالة سامعيه يحدد الخطيب أسلوب خطابه الذي يتلاءم وحالتهم النفسية، فالجماعة الثائرة يخاطبها بعبارة هادئة، والجماعة الخنسة الفاترة يخاطبها بعبارات حماسية محفزة، والجماعة التي شطت وركبت رأسها يخاطبها بعبارات تجمع بين الترهيب والترغيب، لذلك وجب على الخطيب أن يكون قادرا على إدراك نفسية سامعيه، والإتيان بالأسلوب الذي يتلاءم وحالتهم". [2]

إنّ وعي الخطيب بالمقام الذي يقوم فيه، وإدراكه لما يناسب ذلك المقام من المقال وسيلة هامة من وسائل تحقيق غايته، فالخطيب الناجح هو الخطيب الذي يتعرف على نفسية السامعين، ويحرص على اختيار ما يناسبها من أساليب التأثير، وكما يقول بشر بن المعتمر: (وينبغي أن تعرف أقدار المعاني فتوازن بينها وبين المستمعين، وبين أقدار الحالات، فتجعل لكل طبقة كلاما ولكل حال مقاما، حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات... وأقدار المستمعين على أقدار الحالات).

- **أسس تصنيف الخطابة:**

يعتبر أرسطو من أوائل الباحثين في قواعد العلوم وتقنياتها ومن أهم ما جاء به تقسيمهم للخطابة مرتكزا بذلك على الزمن " فقد اعتمد أرسطو في تصنيفه للخطابة اليونانية على حال المتلقي الذي اعتبره حكما، ثم نظر بعد ذلك إلى قضايا المحكوم فيها".[3]

يعد ذلك المتلقي الركيزة الأساسية التي تبنى عليها الخطابة.

1– فطيمة بلخيري، البيان في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي، مذكرة لنيل شهادة الماستر، أدب عربي قديم، جامعة محمد خيضر – بسكرة –، قسم الآداب واللغة العربية، ص 35.

2– المرجع نفسه، ص 35.

3– محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي (مرجع سابق)، ص33.

"كما جعل من الخطب ما يختص بالماضي كالخطب القضائية وموضوع الخطبة يدور حول حدث قد انتهى، ومن الخطب ما يختص بالحاضر خطب تختص بالأمور المستقبلية والخطب التي يطلب بها تقرير قانون أو إنشاء شيء جديد، فالخطب إذن ثلاثة أقسام في نظر أرسطو تبعا لأجزاء الزمن، لكن هناك تقسيما أخر للخطبة باعتبار موضوعاتها العامة، وهذا التقسيم ليس دقيقا كل الدقة"[1] .

وتتمثل هذه الخطب في الخطب السياسية، القضائية، خطب تكريم، خطب دينية، والخطب الاجتماعية.

جدول تصنيف الخطابة حسب ما ذهب إليه أرسطو.[2]

النوع	المستمعون	الغرض	الموضوع	الزمن	التفكير(الغالب)	الأفكار العامة
الاستشارية	أعضاء المجلس	_ النصح _وعدم النصح	النفع والضرر	المستقبل	المثال	المحتمل وغير المحتمل
القضائية	القضاة	الاتهام والدفاع	العدل والظلم	الماضي	القياس المضمر	الحقيقي وغير الحقيقي
الاحتفالية	المتفرجون الجمهور	المدح والذم	الجمال والقبح	الحاضر	تمثيل واستقراء ومقارنات	الأقل والأكثر

1– ينظر: عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، (مرجع سابق)، ص87.

2– محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)، ص34.

يمثل الجدول تصنيف الخطابة إلى أنواع ثلاثة، وكل نوع منها يفرض مستع خاص وموضوع مناسب وزمن محدد، كما تراعى فيها البراهين الخاصة بكل صنف، والأفكار العامة من حيث الاحتمال وغير الاحتمال ...

المبحث الثاني: الخطابة الدينية التعليمية والسياسية.

1)الخطابة الدينية.

تلك الخطابة ذات الطابع الديني مواضيعها تتعلق بتعاليم الدين، مرجعها الكتب السماوية،" وهي الخطب التي تلقى في المساجد والكنائس المتعمدة التأثير على السامعين وحضهم على الفضيلة وترك متاع الدنيا، إلاّ أنّ هذه الخطب في غالبها تقليدية تستنفذ معاني مكررة، وفي أحيان كثيرة نراها تستغرق في الأبحاث والأصول الغيبية، حتى تفتقد الحس الإنساني الصادق، والتأثير الأخلاقي المباشر"[1]، و للخطب الدينية مكانة خاصة في قلوب الناس رغم مواضيعها المتكررة.

" ويمكن تصنيف الخطابة الدينية إلى ثلاثة أصناف وذلك حسب المتلقي، وحسب الرسالة الموجهة إليه، فهو إمّا أن يكون خالي الذهن يتقبل المعرفة الملقاة إليه وهذه الحالة اقتضت خطابة تعليمة، وإمّا أن يكون متناسب لما تعلم غافلا عما ينتظره، فيتطلب حاله الحث على العمل وتخويف من العقاب، وتلك هي الخطابة الوعظية، وإمّا أن يكون عالما مخالفا وجاحدا للوجهة نظر الخطيب الحجاجية أو المناظرات"[2]، وعليه فالخطابة الدينية ثلاثة أنواع هي:

2) الخطابة الدينية التعليمية:

هذا النوع من الخطب الدينية هدفها الأساسي التعليم والإرشاد، "في هذا الصنف من الخطب ينبغي أن يكون المرسل والمتلقي في حالة عطاء وتقبل، فإن تحقق ذلك كان الخطاب ابتدائيا جليا في الرسائل منه بالخطب، وإذا ما أحاطت بالخطيب ظروف خاصة صاحبت الإبتدالية عناصر تأكد وإقناع، فصارت الخطبة تتراوح بين الإخبار والتأكيد الإنشائي، وهذا هو الطابع الغالب عليه، ومن أمثلة ذلك خطبة حجة الوداع"[3].

1- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي (مرجع سابق)، ص36.

2- إيليا الحاوي، فن الخطابة وتطوره عند العرب، (مرجع سابق)، ص 24- 25.

3- ينظر: محمد العمري ، (مرجع سابق)، ص 36-37-38.

ومن ذلك فهذا الصنف من الخطابة يرتكز أساسا على الإنشاء والإخبار، وذلك لإفادة المتلقي أكثر وهذا النوع من الخطب، دروس دينية يلقيها الواعظ على العامة يعرفهم فيها أصول دينهم والأحكام الشرعية العملية التي يدعو إليها والفضائل الإسلامية الفاضلة، وهذه الدروس إمّا بيان عقائد وإمّا بيان الأحكام والفضائل.

مثال: خطبة محمد بن سليمان الهاشمي- وهي من خطب يوم الجمعة –فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:" من يعتصم بالله ورسوله، فقد اعتصم بالعروة الوثقى، وسعد في الأولى والآخرة، ومن يعصِ الله ورسوله فقد ظل ضلالا بعيدا، وخسر خسرانا مبينا، أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يطيعه ويطيع رسوله، ويتبع رضوانه، ويتجنب سخطه فإنما نحن به وله. أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته ..."[1].

فالهاشمي في هذه الخطبة يوصي بالتمسك بتقوى الله وإتباع أوامره، واجتناب نواهيه، لأنّ تقوى الله خير زاد يتقرب به العبد إلى ربه.

من ذلك أيضا خطبة حجة الوداع للرسول صلى الله عليه وسلم التي بين الكثير من التعاليم الدين والدنيا .

إذن الخطابة الدينية التعليمية هي التعريف بأمور الدين وإظهارها وتعليمها، تلقى في المساجد هدفها تقويم السلوك والدفاع عن العقيدة تكون بأسلوب سردي إنشائي، يتطلب فيها الأخبار والتأكيد باستعمال الحجج البينة والتي تخدم موضوع الخطابة.

1) الخطابة الوعظية:

يرتكز هذا النوع من الخطب على الترغيب في فعل الخير والترهيب في فعل الشر، " ففي هذا الصنف من الخطابة المستمع في الحالة غافل ومقصر مع معرفته بما ينبغي، والاهتمام بشؤون الدنيا

1– الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ج2، طع: السابعة،1418هـ–1998م، ص 129 .130

فكان الوعظ الذي قام على المزاوجة بين الوعد والوعيد ،كما هو الشأن في بعض مواعظ" علي بن أبي طالب" يذكر بعذاب الآخرة وقد ألح الخطباء على زوال الدنيا وبقاء الآخرة، وضرورة التزود منها والتذكير بأحوال الأمم الماضية والإكثار من ذكر فساد أحوال الناس"[1]، إذن مسعى الخطابة الوعظية إيقاظ الغافلين وإرجاعهم إلى الطريق السليم، ولا يتم هذا إلّا عن طريق التأثير في أنفسهم.

"كما يقصد بالوعظ الديني هو الأمر بالمعروف في الدين والنهي عن المنكر فيه، وقد أجمعت عليه الشرائع، واتفقت على وجوبه الأديان، فعليه قد قامت الدعوة إليها، ومن ينبوعه تغذت النفوس البشرية غذائها الروحي، ومن ضوئه اقتبست نورانيتها"[2]، فعمل الخير وترك الشر هو جوهر الأديان والشرائع باختلافها.

وفي قول آخر: " الخطابة الوعظية ذات صفة إرشادية عامة، يدعو فيها الخطيب إلى الخير والامتناع عن الشر، دون تحديد وتقييد"[3]، وفي قول آخر:" هي الخطب التي تعنى ببيان مبادئ الدين الإسلامي، وتعاليمه وأحكامه، ودعوة الناس إليها وتحذيرهم من غيرها، كما تهتم ببيان حكم الشرع الإسلامي في الأمور المختلفة، فهي أمر بكل معروف أرشد الإسلام إليه، ونهي عن كل منكر حذر منه، وهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يكون في جميع نواحي الحياة، وسائر شؤون الخلق المعاشية والمعادية"[4].

من هنا يتضح أنّ جميع من تناول مفهوم الخطابة الوعظية ركز على عنصر الإرشاد والنصح باستعمال الحجج العقلية والنقلية اليقينية، فالهدف منها هو إيقاظ الغافل من غفلته وإرشاد المقصر والتنبيه إلى عواقب ذلك، مثال: خطبة الحسن البصري: "يا ابن آدم، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا، يا ابن آدم، إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه وإذا

1– ينظر: د. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي (مرجع سابق)، ص39.

2– ينظر: محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، (مرجع سابق)، ص164.

3– إيليا الحاوي، فن الخطابة وتطويره عند العرب، (مرجع سابق)، ص75.

4– إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب، دار الكلمة، القاهرة – مصر –،طع: الخامسة 2016، ص 276.

رأيتهم في الشر فلا تغبطهم عليه التواء هاهنا قليل، والبقاء هناك طويل، أمتكم خير الأمم وأنتم آخر أمتكم، وقد أسرع بخياركم فماذا تنتظرون"[1].

2) المناظرات المذهبية:

إنّ المناظرات المذهبية جزء لا يتجزأ من الحجاج البلاغي الذي يسعى إلى كسب رضا المتلقي وإقناعه وهذا من خلال جذب أفكاره والتأثير في مشاعره، حيث" ازدهر هو هذا الصنف من الخطابة في العصر العباسي حيث ظهرت مجموعة من الفرق مثل: القدرية، الجبرية، المرجئة والمناظرة تعتمد على الحجج والبراهين العقلية والنقلية لأنّ المخاطب فيها موضع المنكر الجاحد، كما في المنظرة التي عقدتها **هشام بن عبد الملك بينالأوزاعي** العالم السني وبين غيلان الدمشقي الذي يعتبر من أوائل المتكلمين في قضية القدر، وغالبا ما يكون أحد طرفي المناظر مدعما باعتبارات علمية أو أكثر ما تكون سياسية ويعتبر الحسن البصري من أوائل من خاضوا بفكرهم موضوع المحاجة المذهبة"[2]، من أهم ما ميز هذه المناظرات هو ظهور الفرق الكلامية.

" والمناظرة هي النظر من الجانبين في مسألة من المسائل قصد إظهار الصواب فيها، فالمناظر هو من كان (عارض) أو (معترض)، وكان لعرضه أو اعتراضه أثر هادف ومشروع في اعتقادات من يحاوره سعيا وراء الاقتناع برأي سواء ظهر صوابه على يد هذا أو على يد محاوره، وتمتاز المناظرة عن الحوار بإقامة تقابل يتواجه فيه العارض والمعترض ولا يمنع اختصاص كل منهما فيه بحقوق وواجبات معينة من حضورهما معا في إنشاء نفس المناظرة منطوقا أو مفهوما"[3].

إذن المناظرة تقوم بين متناظرين أو أكثر، ويتناول كل واحد منهم طرفا في موضوع المناظرة ويبدي بحججه وبراهينه داحضا بذلك الخصم أو مكملا ما عرضه هذا الآخر، وقد يدخل الحاضرون

1– أحمد زكي صفوت، جمهرت خطب العرب، ج:2، (مرجع سابق)، ص465.

2– بتصرف: د. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي (مرجع سابق)، ص41...45.

3– هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه (دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي، رسالة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة ورقلة، ص58.

في النقاش، وتقدم المناظرات المناقشة مختلف الموضوعات من سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية وغير ذلك.

كما" يرى شوقي ضيف أنّ جنس المناظرات لقي عناية من مؤرخي الأدب العربي، لأنّه من أهم أجناس الخطاب النثري التي شغلت الناس على اختلاف طبقاتهم، حتى إنّنا نجد الخلفاء أنفسهم يهتمون بهذه المناظرات ويعتقدون لها المجالس، لتتناول موضوعات متعددة في الفقه والنحو والصرف واللغة، وفي المسائل الدينية"[1].

وعليه تعتبر المناظرات من أهم الخطب النثرية التي أثرت في الناس باختلاف مراكزهم الاجتماعية وتعددت موضوعاتها نتيجة اهتمام الخلفاء بها.

نموذج عن المناظرة:

وقعت مناظرة بين **أبي حنيفة** وطائفة من **السمنية** من الهند حول وجود الكائنات، حيث ترى هذه الطائفة أنّ المخلوقات وجدت صدفة، أي أنكروا وجود الله تعالى، بينما هو يرى العكس ويعد **أبو حنيفة** من أذكى العلماء في عصره. فجادلهم بالعقل ليثبت صحة رأيه، فكانت المناظرة كما يلي:

" قام **أبو حنيفة** بوعد الطائفة وأن يأتوا إليه بعد يوم أو يومين فجاءوا، ماذا قلت؟ قال: أنا أفكر في سفينة مملوءة من البضائع والأرزاق جاءت تشق عباب الماء حتى رست في الميناء ونزلت الحمولة وذهبت، وليس فيها قائد ولا حاملون"[2].

قالو: تفكر بهذا؟ ، قال: نعم. قالوا: إذا ليس لك عقل، هل يعقل أن تأتي سفينة بدون قائد وتنزل وتنصرف؟ هذا ليس معقول؟ قال: كيف لا تعقلون هذا، وتعقلون أن هذه السموات والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والناس كلها بدون صانع؟، فعرفوا أنّ الرجل خاطبهم بعقولهم

1- مصطفى البشير قط، مفهوم النثر الفني في النقد العربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص101.

2- ابن تيمية، العقيدة الواسطية، دار ابن حزم، القاهرة، 2009، ط1، ص90.

وعجزوا عن جوابه"[1]، وهكذا تمكن أبو حنيفة من إقناعهم واثبات وجود الله تعالى، وكان ذلك عن طريق مخاطبة عقولهم.

1)الخطابة السياسية:

يتضمن موضوع الخطابة السياسية الأمور المتعلقة بدولة ما وعلاقاتها داخلية كانت أم خارجية.

"ويندرج في الخطابة السياسية جميع الخطب المتعلقة بالعمل في سبيل بناء الدولة أو بسط نفوذها وخطب الصراع حول الحكم، وكانت بذورها الأولى بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة"[2]، أي للخطب السياسية دور فعال في تنظيم الشؤون السياسية للدولة في حالتي السلم والحرب.

كما يقصد بالخطاب السياسي:" ذلك الشكل الخاص والمتميز من التواصل الموجه لأجل إقناع الملتقي، وتعديل سلوكه بصدد موضوعات تهتم الدولة وتوجهاتها الداخلية والخارجية ويسمد من شخصية مرسله والمقام الذي يتم فيه فضلا عن بنيته اللغوية، وما تتضمن من دلالات وأفكار وأساليب بلاغية هدفها إقناع المتلقي"[3]، و يتلخص الدور الأساسي للخطب السياسية بتوجيه المستمع إلى قضايا تهم شؤون الدولة.

"وتنقسم الخطب السياسية إلى أنواع منها: الخطب البرلمانية من أهم الخطب السياسية، لأنّ الخطيب البرلماني من وظيفته أن يقترح على حكومته وأن يشرع لها، بإضافة إلى خطب الدعايات الانتخابية إذ فيها يوضح العفو المرشح جوانب السياسة التي يريدان ينهجها ويبين عيوب السياسة التي يعارضها، ومنها خطب المؤتمرات السياسية فهي بطبيعة الحال خطب رسمية خاصة بسياسة الدولة".[4]

1– ابن تيمية، العقيدة الواسطية ، (مرجع سابق)،ص90.

2– ينظر: د. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)، ص46.

3– ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، دراسة تداولية، رسالة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص08.

4– ينظر: عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، (مرجع سابق)، ص79.

مهما تعددت وجهات النظر حول مفهوم الخطابة السياسية فإنّنا لا ننفي إنها تصب في مجرى واحد هو مجمل الخطب التي يعالج فيها الخطيب قضايا الوطن والشعب والشؤون السياسية بكل أنواعها، وقد ازدهر هذا النوع من الخطابة في العصر الحديث بانتشاره الأنظمة الديمقراطية والمجالس النيابية وازدياد الأحزاب والعقائد.

والخطبة السياسية هي من أصعب الفنون، هدفها تحريك الأمة نحو أهدافها أو الحشد الفكري والعقائدي للجماعة السياسة التي ينتمي إليها الخطيب، أو تفيد حجج الخصوم والأعداء أو الدفاع عن المواقف والقرارات ويمكن تصنيف الخطابة السياسية حسب العلاقة بين المتحاورين إلى صنفين كبيرين يضمان تصنيفات فرعية ،مثال: ما جاء على لسان أبي جعفر المنصور حيث نصب نفسه سلطان الله في أرضه، وحجته على خلقه وأنّه يسوس الناس بتوفيق الله وتأييده، وأنّه الحارس الأمين على خزائنه، إلى غير ذلك من الصلاحيات:(أيُّها الناس، إنّما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه، وتأييده، وحارسه على ماله أعمل فيه بمشيئته وإرادته، وأعطيه بإذنه، فقد جعلني الله عليه قفلا، إذا شاء أن يفتحني فتحني لإعطاكم وقسم أرزاقكم، وإذا شاء أن يقفلني عليها قفلني فارغبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به في كتابه إذ يقول اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا...)[1].

1. الحوار بين الأنداد

هو الحوار الذي يدور بين طرفين أو أكثر، حيث يسعى كل طرف لإثبات صحة رأيه مستعينا بحجج وبراهين، "اعتمد هذا الحوار النصح والمشاورات والمناظرات تدور أغلبها حول قضية الخلافة وشؤونها وهذا الصنف عرفه العرب في حياتهم الجاهلية، ومن هذا حديث أبو بكر أيام السقيفة والمناسبة الثانية للخطابة الاستشارية ينطلق فيها الخطاب من الند للند كانت بعد مقتل عمر بن الخطاب، والخطب السياسية الهادئة القائمة على الحجاج قليلة في الخطابة العربية، ونجد الخطباء

1– حسين عبد العالي اللهيبي، الخطابة العربية في العصر العباسي الأول – دراسة موضوعية – فنية، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية العددان (3–4)، مج: (8) ،2008،ص 100.

يلجئون إلى المنطق والحجة بعيدا عن التهديد والمدح والهيجاء السائد في أصناف أخرى من الخطابة والوجه الآخر للخطابة في الأنداد يقوم على المفاخرة والمدح والذم، وذلك حين تكون القطيعة أكيدة"[1]، مثال: عبد الله بن عباس وعمرو بن العاص: قام عمرو بن العاص في موسم من مواسم العرب، فأطرى معاوية بن أبي سفيان وبني أمية، وتناول بني هاشم، وذكر مشاهده بصفين واجتمعت قريش فأقبل عبد الله ابن عباس على عمرو فقال: " يا عمر وإنّك بعت دينك من معاوية، وأعطيته ما بيدك، ومناك ما بيد غيره، فكان الذي أخذ منك أكثر من الذي أعطاك، والذي أخذت منه دون الذي أعطيته، وكل راضٍ بما أخذ وأعطى فلما صارت مصر في يدك كدّرها عليك بالعزل والتنغيص حتى لو كانت نفسك في يدك ألقيتها وذكرت يومك مع أبي موسى، فلا أراك فخرت إلّا بالغدر، ولا مننت إلاّ بالفجور والغش وذكرت مشاهدك بصفين، فوالله ما ثقلت علينا وطأتك، ولقد كشفت فيها عورتك، وإن كنت فيها لطويل اللسان، قصير السّنان، آخر الخيل إذا أقبلت، وأولها إذا أدبرت لك يدان: يد لا تبسطها إلى خير، وأخرى لا تقبضها عن شر ولسان غرور ذو وجهين: وجه موحش، ووجه مؤنس، ولعمري إن من باع دينه بدنيا غيره لحريّ أن يطول عليها ندمه، لك لسان وفيك خطل ولك رأى وفيك نكد، ولك قدر وفيك حسد، وأصغر عيب فيك أعظم عيب في غيرك"[2].

رد ابن العاص:" والله ما في قريش أثقل على مسألة، ولا أمرُّ جوابا منك، ولو استطعت ألاَّ أجيبك لفعلت، غير أني لم أبع ديني من معاوية، ولكن بعت الله نفسي، ولم أنس نصيبي من الدنيا وأمّا ما أخذت من معاوية وأعطيته فإنّه لا تعلَّم الموان الخمرة، وأمّا ما إلى معاوية في مصر فإنّ ذلك لم يغيّرني له، وأمّا خفة وطأتي عليكم بصفين، فلما استثقلتم حياتي واستبطأتم وفاتي، وأمّا الجبن فقد علمت قريش أني أول من يبارز، آخر من ينازل. وأمّا طول لساني، فإني كما قال هشام بن الوليد لعثمان بن عفان رضي الله عنه:

1– ينظر: محمد العمري، في البلاغة الخطاب الإقناعي (مرجع سابق)، ص46...49.

2– أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج:2،(مرجع سابق)، ص 102.

لِسَانِي طَوِيلٌ فَاحْتَرِسْ مِنْ شَذَاتِهِ عَلَيْكَ، وسَيفِي مِنْ لِسَانِيَ أَطْوَلُ.

وأمّا وجهاي ولساناي، فإني ألقى كل ذي قدر بقدره، وأرمي كل ناجح بحجر، فمن عرف قدره كفاني نفسه، ومن جهل قدره كفيته نفسي، ولعمري ما لأحد من قريش مثل قدرك ما خلا معاوية فما ينفعني ذلك عندك"[1].

"وأنشد عمرو يقول:

بَنِي هَاشَمٍ مَالِي أَرَاكُمْ كَأَنَّكُمْ بِيَ اليومَ جُهَّالٌ؟ ولَيسَ بِكُمْ جَهْلٌ

أَلَمْ تعلموا أني جَسُور على الوَغَى سَرِيعٌ إلى الدَاعِي إِذَا كَثُرَ القَتْلُ؟

وَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو "نَزَالِ" . طبيعَةٌ جُبِلتُ عَلَيهَا، والطِّباع هو الجَبَلُ

وأني فَصَلتُ الأمر بَعْدَ اشْتِبَاهِهِ بِدَومَةَ إذ أعيا على الحَكَم الفَصْلُ

وأنيَ لا أعيا بِأمرٍ أُريده وَأني إذا عَجَّت بِكازُكُمُ فَحْلُ" .[2]

معنى ذلك أنّ هذا النوع من الحوار يسير إلى هدفين مختلفين أحدهما النصح والمشاورة حديث الند للند، وآخر المفاخرة والمدح وهذا في حالة حدوث القطيعة الحتمية.

2. الحوار بين الراعي والرعية :

كثيرا ما يجري بين الراعي ورعيته حوار و نقاش في شؤون البلاد و العباد، وقد يستعمل كل طرف أساليب للدفاع عن أرائه، و محاولة إقناع الطرف الثاني بما يريده.

"وقد بدأ هذا الحوار (يوم الدار) حينما اتهم الثوار سياسة الخليفة، فحاول إقناعهم بدون جدوى فالعلاقة بين" عثمان بن عفان" وبين الثوار علاقة راع ورعيته وهي التجربة نفسها التي عاناها "علي

1– أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (مرجع سابق) ، ص102–103.

2– المرجع نفسه، ص 103.

بن أبي طالب" في حوار مع طائفة من جنوده الذين اتهموه بسوء التدبير، وقد قام خطيب بني أمي في المراحل الأولى على الاتهام والتهديد والوعيد، وكان الحوار بين الراعي والرعية يستولي على الخطابة في آخر العصر الأموي إذ انشغل الشيعة في هذه الفترة بالعمل السري فقلت خطبهم أو لم يصلنا منها شيء كثير"[1]، مثال: خطبة عثمان بن عفان حين نقم الناس عليه، فقال:

" إنّ لكل شيء آفة، وإن لكل نعمة عاهة، في هذا الدين عيّابون ظنّانون، يظهرون لكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون، يقولون لكم وتقولون، طغام مثل النعام، يتبعون أول ناعق، أحبّ مواردهم إليهم النازح، ولقد أقررتم لابن الخطاب بأكثر مما نقمتم عليّ، ولكنه وقمكم وقمعكم وزجركم زجر النعام المخزّمة، والله إني لأقرب ناصرا، وأعز نفرا. واقَمنُ — إن قلت هلمّ — أن تجاب دعوتي من عمر، هل تفقدون من حقوقكم سبأ، فما لي لا أفعل في الحق ما أساء؟ إذن فلم كنت إماما؟".[2]

ومن هذا المنطلق فالحوار هنا يتخذ شكل العلاقة بين الحاكم والمحكوم، يكون الهدف منها إقناع الرعية بحسن التدبير والتسيير من طرف الراعي، وقد يكون هذا الحوار لأجل توضيح أمور غامضة أو إظهار خلفيات أو الاتفاق على أمور عمل أو مشاريع تنموية.

الرؤية العامة في الخطابة الدينية والسياسية:

هي التي تتناول مواضيع خاصة بالدين و السياسة، "إذا عمقنا النظر في الخطابة السائدة في هذا العصر وهي الخطابة الدينية والسياسية، نلاحظ أن المفاهيم السائدة فيهما متشابهة بحملها فيما يلي:

1– ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)، ص51...53.

2– أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، مصطفى الباني الحلبي، مصر، ج:1، طع:1، 1352هـ/1923م، ص 102.

1.الدعوة الى الطاعة:

إنّ طاعة الله تعالى والاجتهاد في أداء الواجب الديني، وطاعة أولي الأمر عند خطباء الدولة، الوفاء للجماعة والحزب عند الشيعة"[1].

مثال: خطبة عبيد الله بن زياد، بعد الحمد والثناء ، قال: "أمّا بعد، أيها الناس: فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم، ولا تختلفوا ولا تفرقوا، فتهلكوا وتذلوا وتقتلوا وتجفوا وتحرموا، إن أخاك من صدقك، وقد أعذر من أنذر"[2].

الدعوة إلى العصيان:

و تمثلت في دعوة الخطباء ووجهاء القوم في دعوة غيرهم إلى الثورة على الخصوم، و عدم الانقياد و محاربتهم، و النماذج على كثيرة و متعددة نذكر منها: خطبة الغضبان بن القبعثري يحض على قتل الحجاج.

لما هلك بشر بن مروان، وولي الحجاج العراق، بلغ ذلك أهل العراق، فقام الغضبان بن القبعثري الشيباني بالمسجد الجامع بالكوفة خطيبا، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

" يا أهل العراق، ويا أهل الكوفة، إنّ عبد الملك قد ولى عليكم من لايقبل من محسنكم، ولا يتجاوز عن مسيئكم، الظّلوم الغشوم الحجّاج، ألا وإن لكم من عبد الملك منزلة، بما كان منكم من خذلان مصعب وقتله، فاعترضوا هذا متن منبركم، وصدر سريركم، وقاعة قصركم، ثم قتلتموه عدَّ خلعا، فأطيعوني وتغدّوا به، قبل أن يتعشى بكم"[3].

فالخطيب هنا يدعو الناس ويحرضهم على التمرد على الحجاج، بوصفه الظالم غير الحالم، والمسيء غير المحسن.

1– ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)،ص 57.

2– ينظر: أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، (مرجع سابق)، ص 32.

3المرجع نفسه، ص321.

2.الوعد:

تميل النفوس بطبيعتها إلى توقع كل ما فيه خير . فلذلك كان الوعد من أفضل السبل لإقناع الناس و الجماهير و تغيير وجهات نظرهم، "ويقصد به الوعد بالجنة وحسن الثواب والعطاء الجزيل، وحسن المعاملة عند خطباء الدولة الأموية خاصة"[1].

وقد ورد لفظ الوعد في القران الكريم، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ "[2]، مثال: خطبة علي كرم الله وجهه:

قال: وذكروا أن البيعة لما تمت بالمدينة، خرج إلى المسجد الشريف، فصعد المنبر، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ووعد الناس من نفسه خيرا، وتألفهم جهده، ثم قال: "لا يستغني الرجل وإن كان ذا مال وولد عن عشيرته، ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم. هم أعظم الناس حيطة من ورائه، وإليهم سعيه وأعطفهم عليه إن أصابته مصيبة، أو نزل به بعض مكاره الأمور ومن يقبض يده عن عشيرته فإنّه يقبض عنهم يدا واحدة، وتقبض عنه أيد كثيرة ومن بسط يده بالمعروف ابتغاء وجه الله تعالى، يخلف الله له ما أنفق في دنياه، ويضاعف له في آخرته، واعلموا أن لسان صدق جعله الله للمرء في الناس خير له من المال، فلا يزددن أحدكم كبرياء، ولا عظمة في نفسه، ولا يغفل أحدكم عن القرابة أن يصلها، بالذي لا يزيده إن أمسكه ولا ينقصه إن أهلكه واعلموا أن الدنيا قد أدبرت، والآخرة قد

1– محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)، ص57.

2– سورة الفتح، الآية 29.

أقبلت، ألا وإن المضمار اليوم والسبق غدا، ألا وإن السبقة للجنة، والغاية النار، ألا إن الأمل يشهي القلب، ويكذب الوعد ويأتي بغفلة، ويورث حسرة فهو غرور، وصاحبه في عناء فافزعوا إلى قوام دينكم، وإتمام صلاتكم، وأداء زكاتكم والنصيحة لإمامكم، وتعلموا كتاب الله، واصدقوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأوفوا بالعهد إذا عاهدتم، وأدوا الأمانات إذا ائتمنتم وارغبوا في ثواب الله وارهبوا عذابه، واعملوا الخير تجزوا خيرا يوم يفوز من قدم الخير"،[1]ففي هذه الخطبة يعد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، بالاهتمام بشؤونهم، والمحافظة على حقوقهم بتوفيق من الله.

3.التهديد والوعيد:

التهديد بعذاب الله ونقمته وبالزمان والقتل عند الخطباء،[2] مثال: خطبة لقطري بن الفجاءة قال:

"أمَّا بعد: إني أحذركم الدنيا فإنّها جلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل، وتحلببت بالعاجل وغمرت بالآمال، وتحلت بالأماني وزينت بالغرور، لا تدوم زهرتها ولا تؤمن فجعتها... كم واثق بها قد فجعته وذي طمأنينة إليها قد صرعته وكم من مختال بها قد خدعته ... مع إن من وراء ذلك سكرات الموت وزفراته وهول المطلع والوقوف بين يدي الحكم العدل، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسن..."[3].

في هذه الخطبة يذكر الخطيب أهوال يوم الحساب، أحوال أصحاب الدنيا وملذاتها، وكيف كانت خاتمتهم وأن الله سبحان وتعالى سيجزي المحسنين خيرا، وسيعاقب المسيئين بالأسوأ، وهذا يدخل في باب التهديد والوعيد.

1- ابن قتيبة، للإمامة والسياسة،www .al.mostafa.com ص38.

2- ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي، (مرجع سابق) ص 54-57-58.

3- ينظر: سلامة موسى، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط،دت ،ص 24- 25.

المبحث الثالث: الخطابة في الموضوعات الاجتماعية وشؤون الحياة:

3. الخطابة في الموضوعات الاجتماعية وشؤون الحياة:

مضمون هذا النوع من الخطب هو تناول القضايا الاجتماعية بمختلف أنواعها، "ويندرج تحت هذا العنوان كل الخطب التي لا يستوعبها الموضوعات السابقان (السياسة والدينية) خاصة خطب الأملاك، وإصلاح ذات البين والمخاصمات القضائية والمشاركة في المسرات والحزان، ويمكن تصنيفيها إلى:

1. خطب تتناول العلاقة بين الناس وتنظيم المجتمع.
2. خطب ذات طبيعة وجدانية هدفها المشاركة والاشتراك في المسرات والحزان.

والمتلقي في الصنف الأول يكون حكما، أما في الصنف الثاني نوضع الخطيب فيه أشبه ما يكون بوضع الشاعر فالاستمالة فيها مقدمة على الحجة في الغالب،"[1] إذن اهتم مثل هذه الخطب بالجانب الاجتماعي، حيث تتطرق للقضايا والأحداث داخل المجتمع، ومحاولة تنظيمه، بالاعتماد على الإقناع واستمالة المستمع.

1- ينظر: محمد العمري، في البلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)، ص58-59-64.

الشاهد (الحجج الجاهزة غير الصناعية):

لتتضح الحقائق وتظهر بصورة جلية واضحة يجب أن تتوفر أدلة وشواهد، وهي" عند أرسطو القوانين والشهود والاعترافات، وأقوال الحكماء وتختص إجمالا بالخطابة القضائية، ومنها في الخطابة العربية تضمين الآيات القرآنية والأحاديث، وأبيات الشعر، والأمثال وهي حجج جاهزة، كما نجد في الخطب الحجاج استشهادات شعرية كثيرة."[1]

تبنى الخطب القضائية وخطب الحجاج على شواهد والتي تتمثل في مجملها على القران الكريم الشعر الحكم والأمثال.

المثل:

يلعب دورا فعالا في الإقناع فبواسطته يتم إقناع الطرف الآخر، وكلما كان توظيف المثل أكثر تتضح الفكرة بشكل واضح للمتلقي.

أمّا المثل" لدى أرسطو تاريخي ومصطنع، والمصطنع قسمان:

1. مثل بالتشابه: كالاستشهاد على فساد اختيار القضاة بالقرعة.
2. مثل خرافي: شخصياته من الحيوانات كقصة استبعاد الفرس التي حكاها الشاعر اليوناني **اسطيسخورس** لأهل صقلية.

والمثل التاريخي عند أرسطو: كما قائل: إنه ينبغي للملك أن يستعد ولا يخلي العدو مصر، فإن **داريوس** أيضا في تلك الغزاة لم يتقدم دون أن احتوى على مصر، فلما حواها دلف.. والآن أيضا إن أخذ العدو مصر مضى قدما فليس ينبغي للملك أن يرخص في ذلك.

1- ينظر: محمد العمري، في البلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)، ص65-66.

وللمثل أهمية بالغة في الإقناع في رأي دارسي النص القرني والبلاغيين[1].

وقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾"[2]، وكذلك جعلت القدماء أكبر آدابها وما دونته من علومها بالأمثال والقصص عن الأمم.

كما يعتبر المثل دعامة كبرى من دعائم الخطابة لما يحققه من إقناع وتأثير، ولقد استعمل كل من المثل التاريخي والتشبيهي استعمالا واسعا في القران الكريم، من مثال استعمال المثل التاريخي في الخطابة **خطبة الحجاج** بعد قتله لابن الزبير في الحرم، وقد استعمل قصة ادم بعد قتله، وخروجه من الجنة في سبيل الإقناع.

ونجد استعمال المثل القائم على الحكاية الخرافية لدى خطباء الأمويين، لما وجدوا تشابها بينهما وبين الحالة التي يواجهونها. مثل: قول عبد الملك خلال حجة له: (يا معشر قريش مثلنا ومثلكم أن أخوين في الجاهلية خرجا مسافرين...)، وكذلك خطبة النعمان بن بشير في أهل الكوفة.[3]

إذن ليس المثل وليد اليوم بل له جذور راسخة في أعماق التاريخ، وهذا منذ الحضارة اليونانية وصولا إلى حضارتنا العربية، ودليل ذلك وجود العديد من الأمثال في القران الكريم مثلا: **قوله تعالى**: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[4].وقوله أيضا: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ

1– ينظر :محمد العمري في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق) ص86– 69– 70.

2– سورة الروم، الآية 58.

3– ينظر: محمد العمري ،(مرجع سابق)، ص76،69.

4– سورة البقرة، الآية 17.

كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ [1] ،وهذا دليل على أهمية المثل ودوره الكبير في إقناع والتأثير على المتلقي.

القياس الخطابي:

إنّ القياس الخطابي هو الذي يجمع صور الاستنتاج والاستقراء القائم على الاحتمال والترجيح فقد وجد "أرسطو مجموعة من البراهين الخطابية تحت ما ترجم بالقياس المضمر أو (***Enthyméme***) وهو قياس يقوم على الاحتمالات وقد قدم أرسطو في كتاب الخطابة 28 حالة من البرهنة بالقياس المضمر، وهي الأقيسة الاستدلالية وأربعا من الأقيسة التنفيذية"[2].

نماذج من الأقيسة الخطابية:

الموازنة بين المتناقضين:

قال الأحنف بن قيس لمعاوية:" أخافك إن صدقتك وأخاف الله إن كذبتك".

قال جامع المحاربي للحجاج: " إن صدقناك أغضبناك، وإن غششناك أغضبنا الله، فغضب الأمير أهون عليا من غضب الله".

1. من مواضيع البرهان الخطابي (التقسيم):

قتيبة بم مسلم ممن عرفوا بالتقسيم، ومن تقسيماته: من كان في يديه شيء من مال عبد الله بن خازم فلينبذه وإن كان فيه فليلفظه، وإن كان في صدره فلينفثه.

- كما نجد أيضا قدامة بن جعفر قد تحدث عن التقسيم واعتبره من نعوت المعنى معمما إياه على الشعر أيضا.

1– سورة العنكبوت، الآية 41.

2– ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي ،(مرجع سابق)، ص 76– 77.

2. التضاد:

نعني بالتضاد هو ذكر كلمتين متضادتين أي معنى كل منهما عكس الآخر في الجملة، ومثاله عند أرسطو: إذا كانت الحرب بسبب الشرور الحاضرة فبالسلم يجب إصلاحها.

وقال الحجاج في إحدى خطبه:" زعمتم أني أعلم الاسم الأكبر، فلم تقاتلون من يعلمون" وتقدير المقدمة المضمرة فيه: ومن يعلم الاسم الأكبر لا يقاتل. وقال فيها: زعمتم أني ساحر، وقد قال الله تعالى" ولا يفلح الساحر" وقد أفلحت والنتيجة: كذبتم لست بساحر[1]، والمثل له قوة القياس المضمر، كما أنّ الحكمة إذا أضيف إليها تفسير صارت قياسا.

ومن أمثلة القياس المضمر كذلك قول الخطيب:" الدنيا عرض زائل يأكل منها البر والفاجر" والتقدير ما يأكل من البر والفاجر: الدنيا عرض زائل.

ومن أشعر القياسات المضمرة في القران ما دعوه قياس الخلف، وهو: إثبات الأمر ببطلان تقضيه.

كما في سورة الأنبياء" لو كان فيها آلهة إلّا الله لفسدتا" وإذا لم تفسدا فليس فيهما إلا إله واحد.

ومن أمثلة القياس المضمر في الخطابة خطبة الحسين في أصحابه في كربلاء" أيها الناس إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، مخالف لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركو طاعة الرحمن..."

النتيجة: يجب تغيير منكر بني أمية وإلا نزل العقاب وأنا قد قدّمت لذلك اعتمادا على بيعتكم ونصرتكم."[2]

1- ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)،ص77.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 83-84.

وعليه فإنّ العرب اعتمدوا في خطابتهم على الأقيسة الخطابية التي كانت متنوعة ومرتكزة على العقل من أجل التأثير في السامع واستمالته.

والقياس الخطابي يقوم على الاحتمال والترجيح، ومجاله السياسي في نظرية أرسطو المرافعات القضائية.

المبحث الرابع: الأسلوب (الجانب الدلالي وإيقاع النص الخطابي).

2) الأسلوب.

إنّ الأسلوب هو جزء لا يتجزأ من بلاغة الخطاب عن اليونان بينما يحتل الصدارة في البلاغة العربية فهو" الطريقة التي بها تتضح القدرة على الكشف النظري عن وسائل الإقناع الخاصة لكل حالة، وأداته اللسان وذلاقته، وهي اللغة التي تعتمد على عنصر الإقناع والاستمالة، والإقناع يبنى على ما يقدم من حجج وبراهين، والاستمالة تبرز من خلال إثارة العواطف والمشاعر"[1].

أي هو أسلوب أساسه القول يسعى لاستمالة العواطف، هدفه الإقناع. وتتلخص" أهمية الأسلوب عند أرسطو في كون أنّ عامة الناس ينجذبون إلى مشاعرهم أكثر مما يتأثرون بعقولهم لذلك المرء أن يعرف ما ينبغي أن يقال بل يجب أن يقوله كما ينبغي.

والأسلوب يجب أن يكون مراعيا للمقام والجمهور الذي يتلقى الخطاب وحسب نوع الخطاب مكتوبا كان أم شفويا، لأنّ الأسلوب في الكتابة غيره في المناقشات، والأسلوب في الجماعات غيره في المحاكم، ولابدّ من معرفة كليهما، فلكل نوع خطابا أسلوبيا خاصا به.

وأهمية الأسلوب وبروزه في الخطابة العربية يعودان في نظرا الكاتب إلى:

هيمنة الشعر الذي كان يؤدي الكثير من المهام الخطابية سواء في الصلح أو الحملات أو المخاصمات والمحاكمات وأشهر هذه الأخيرة تلك التي جمعت بين عمروا بن كلثوم والحارث بن حلزة بمراعاة المقام والاحتيال في الاحتجاج فقضي له على خصمه الذي كان منفعلا أميل إلى الحماسة منه إلى الخطابة.

1. خوض الخطابة في الموضوعات الشعرية كالتعزية والوصف والشكر(الموضوعات الوجدانية).

1– حميد آدم ثويني، فن الأسلوب دراسة وتطبيق عبر العصور الأدبية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2006، ط1، ص113.

2. معظم الخطباء شعراء منهم: قطري بن الفجاءة، والكميت وآخرون، ومن الخطباء من كانت لهم ثقافة أدبية واسعة قائمة على الحفظ الجيد للأشعار و الأمثال إضافة إلى القرآن الكريم، والأحاديث النبوية ومثال ذلك الحجاج.[1]

ومجمل القول أنّ نشأة الخطابة العربية عموما في محيط شعري، ورغم استقلاليته عنه إلاّ أنّها مشدودة إليه بجاذبية أسلوبية قوية.

"والخطيب المصقع ممن أوتي القدرة على التصرف في فنون القول هو الذي يكون في جميع ألفاظه ومعانيه ،حجاجيا على سجيته، غير مستكره لطبيعته، ولا متكلف ما ليس في وسعه".

والخطابة العربية تقتصر على تناول جانبيين بارزين من البناء الفني الخطابي: البناء الدلالي (الدلالة) والإيقاع.

1. الجانب الدلالي: (تركيب المعاني):

لقد استهل الكاتب في هذا الموضوع بخطبة بين زياد وحارثة بن بدر مفادها: أنّ حارثة أخطب من الأمير بما يحشو به كلامه من زيادات مليحة، وكذب فني وكلامهما عناصر أسلوبية، أمّا الأمير فيقول: كلامه فيه أسلوب مباشر لا يزيد فيه شعره.

لقد اعتبر أرسطو الاستعارة بمعناها الواسع عنصر إعزاب يحدث الهيبة والعجب، وما يحدث العجب يحدث اللذة، غير أن الخطابة قائمة على مبدأ أساسي يكبح جماح العنصر الاستعاري، وهو مبدأ الوضوح، ويشترط في هذا المبدأ فصاحة الكلام الخالي من التعقيد والغريب في هذا المبدأ فصاحة الكلام الخالي من التعقيد والغريب وقد وجدت في بعض خطب عثمان عناية بالجانب البياني وسط بين النزعتين.

كما وجد أيضا في العصر الأموي طائفة من الخطباء الفحول يهتمون بالتصوير أمثال:

1– ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق).ص91– 92.

الحجاج، عمّرو بن سعيد الأسدق، وعتبة بن أبي سفيان.

والتصوير في الخطب الوصفية السياسية ذات الطابع الحماسي أبدع منه في الخطابة التعليمية والمناظرات التي تعتمد في الغالب على توصيل الفكرة في عبارة ثقافة مدعومة بالحجة في المناظرات وبالمثال في الخطابة التعليمية[1].

أمّا الخطابة الوعظية فصورها مكررة تدور حول زوال الدنيا وغرورها وبقاء الآخرة، ويعوض التصوير في الخطب الوعظية بالمقابلات المعنوية بين عالم زائل وعالم باق بين الأوائل والأواخر بين الاستقامة والجور، وبين الطاعة والعصيان، والظلم والإنصاف.[2]

وعليه فعلى الخطيب الجيد اللجوء إلى الخطاب الأمثل في استمالة المتلقي، وذلك بإتباع أسلوب خاص، تسيره القدرة المقنعة الخاضعة للعقل بالترتيب والتنسيق وإقامة الحجة، إضافة إلى التأثير في العواطف والأحاسيس ويعد الجانب الدلالي والبنية الصوتية أبرز عناصرها البناء الفني للنص الخطابي.

إيقاع النص الخطابي:

الإيقاع أو الوزن والقافية أو الموسيقى الشعرية على اختلاف التسميات، هو بعث اللفظة في قالب صوتي أشبه بالموسيقى يلج إلى قلب المتلقي مباشرة لما له من تأثير نفسي، وعذوبة في السمع.

يرى أرسطو أّن شكل المقالة ينبغي أن يكون غير ذي وزيا ولا عدد، فإن ذلك النحو غير مقنع لأنّه يظن أنّه مختلف أو يراد به التعجب، ويفضل أرسطو العبارة المقسمة المتقابلة على العبارة المسترسلة أي العبارة التي يدرك الطرف نهايتها: (وذلك أنّ الكل يسرون إذا رأوا النهاية)، والسجع في البلاغة العربية من أهم الظواهر الأسلوبية في النثر، وهو يعطي الكلام مكانة أقرب إلى الرجز

1– ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)،ص 91... 94.

2–المرجع نفسه، ص 102.

والقصيدة وإن كان دونهما، وقد تحدث القدماء عن اطراء الوزن أو القافية للتفريق بين النثر الفني (المصنوع) والنظم الشعري.[1]

ورأى البلاغيون أنّ ظهور التكلف مناف لغرض الإقناع الذي تستهدفه الخطابة في حين أنّ الكلام لا يحسن ولا يحلو حتى تكون مزدوجا نحو **قوله تعالى:** ﴿**فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾** ﴾[2]، وهذا يسمى سجعا متوازنا.

والتوازن مرتبتين عند القلقشندي: الأولى أن يراعى الوزن في جميع الكلمات أو في أكثرها مع مقابلة الكلمة بما يعادلها وزنا ويسمى التوازن مثل **قوله تعالى:** ﴿**وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾** ﴾،[3] والمرتبة الثانية، ألّا يراعي التوازن إلاّ في الكلمتين الأخيرتين مثل:**قوله تعالى** ﴿**كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾** ﴾[4].

وقسّمت الخطابة في القرن الأول، حسب العنصر الصوتي الإيقاعي إلى مستويات ثلاث:

1. خطب مسجوعة.
2. خطب بين السجع والازدواج.
3. خطب مرسلة.[5]

1– ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)، ص103– 104.

2–سورة الغاشية، الآية13– 14.

3– سورة الصافات، الآية 116–118.

4– سورة طه،الآية99، 100.

5– ينظر: محمد العمري، (مرجع سابق)، ص107.

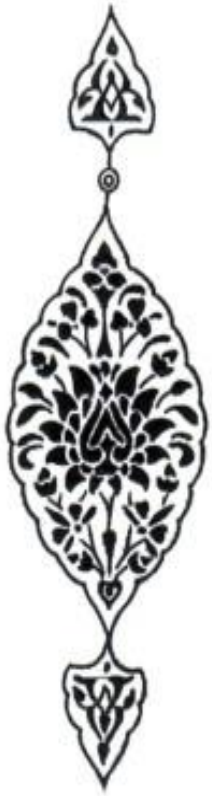

الفصل الثاني

- تقسيمات الخطابة في القرن الأول
- ونماذج من الخطب

المبحث الأول: أنواع الخطب (الخطب المسجوعة وخطب بين السجع والازدواج، وخطب مرسلة)

1)الخطب المسجوعة:

السجع في مفهومه العام: هو توافق الفاصلتين في فقرتين أو أكثر في الحرف الأخير فواصل الجمل، أو هو توافق أواخر(الكلمة الأخيرة في الفقرة) مثل: (الصوم حرمان مشروع، وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع) أو: (المعالي عروس مهرها بذل النفوس) وفي قول الرّسول صلى الله عليه: (ربي تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجي)، ومن السجع ما يسمى الترصيع. وضرّ الترسل.

وهو مظهر من مظاهر الزخرفة اللفظية التي عنى بها الخطيب، ويراد به تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد، والسجع يضفي على النص الذي يرد فيه قيمة موسيقية، بوصفه نوعا من التنغيم، فهو يقوم أصلا على تماثل إيقاعي في نهاية المقاطع، وتكرارها على نحو منتظم، ذلك أن المقاطع تأتي على ألفاظ متوازنة متعادلة وكلمات متوازية متماثلة.

لقد تميزت خطب الجاهلية بطابع السجع المرصع بالأمثال وكذلك ما نسب إلى المتنبئين من نثر في صدر الإسلام، مثلما نسب للكاهن الخزاعي عبد عمرو بن الحمقي في الحكومة بين هاشم بن عبد مناف، وأمية بن عبد شمسبن عبد مناف، العصر الأموي كان المختار الثقفي يدعي تلقي الوحي فيصطنع لوحيه فواصل قصارا متوازنة توازنا صارما، كقواه: (أمّا ورب البحار، والنخيل والأشجار والمهامه والقفار، والملائكة الأبرار...)، وهذا الارتباط بين الدّين والكهانة وبين الصناعة الصوتية يبين وظيفة الإيقاع الإقناعية، والخطب الدينية قليلة الخط من طرافة الأفكار وجدّتها بالنسبة للخطب السياسية[1].

1– ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)، ص107– 108.

فلابدّ من اللجوء إلى الزخرف اللّفظي للتعويض عن الفقر في الناحية الفكرية، والوظيفة التذكرية هي من وظائف الإيقاع التي كان خطباء العصر على وعي بها.

ونجد حرصا على التوازن الصّوتي الإزدواجي و السجعي في بعض الخطب الاجتماعية والوصفية التي خاضت في موضوعات شعرية كالتعزية والتهنئة والوصف.[1]

إذن نلحظ أنّ الخطب المسجوعة لم تكن طاغية في العصر الأموي، إلاّ القليل منها، فالسجع يناسب الشعر وهذا الأخير يختلف عن الخطابة التي ينبغي أن تكون واضحة المعاني غير متكلفة.

ومن الأمثلة على السجع قول عبد الصمد بن شبيب بن شيبة المنقري حين قدم على محمد بن سليمان بن علي الهاشمي، وقد بني قصره بالبصرة على بعض الأنهار فقال له محمد: كيف ترى بنائي؟ قال عبد الصمد:(بنيت أجل بناء، بأطيب فناء، وأوسع فضاء، وأرق هواء، على أحسن ماء، بين سراري وحسان وضياء)[2].

فهذه العبارات تنتهي جميعا بفواصل موحدة، تنسجم مع الطبق والذوق، وقد أضفت جمالا موسيقيا على النص لما فيها من حسن الإيقاع، وجمال الاتساق، وعذوبة الجرس.

02- خطب بين السجع و الإزدواج (متوسطة الصناعة الصوتية).

ويستطيع الخطيب أن يوفر الموسيقى لتراكيبه وعبارتاه إذا اعتمد الازدواج، وهو ما تتزن به أواخر الجمل دون أن يلتزم فيها الروي، والازدواج يكسب النص الذي يرد فيه قيمة موسيقية، وأهميته أنه لا يحسن منثور الكلام حتى يكون مزدوجا...مثال قول المأمون:(...فاتقى عبد ربه، ونصح نفسه، وقدم توبته، وغلب شهوته، فإن أجله مستور عنه، وأمله خادع له، والشيطان موكل به، يزين له المعصية ليركبها، ويمنيه التوبة ليسوفها...).

1- ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)، ص 109- 110.

2- حسين عبد العالي اللهيبي، الخطابة العربية في العصر العباسي الأول،(مرجع سابق)، ص107.

إن حلية الازدواج تشيع في هذا النص نغما موسيقيا متواصلا، عن طريق حرف الهاء وما يشكله هذا الحرف من صدى مكرر في نهاية كل مقطع ينسجم موسيقيا مع تعادل العبارات.

هذا الاتجاه يزاوج بين الصنعة الصوتية وغيرها من المقومات الأخرى، ويقيم موازانات تتراوح بين الازدواج والسجع مع تفاوت بين الفواصل أحيانا والتخلي عن القوافي أحيانا أخرى، وتجد هذا في خطب الحجاج وأبي حمزة وزيادة غيرهم من أعلام الخطابة السياسية، فنجدهم حريصين جدرا على تبليغ الرسالة والتسلسل الطبيعي للمعاني والصور.[1]

ومثال ذلك قول الحجاج:

- (يا أهل الكوفة أمّا والله إني لا أحمل الشر بحمله وأحدوه بنعله، وأجزيه بمثله)
- (وإني لأرى أبصارا طامحة، ورؤوسا قد أيعنت وحان قطافها وإني لصاحبها).[2]

يقوم الازدواج في هذه الفقرات على الموازاة بين التراكيب النحوية المتعادلة مع مرونة تتجلى في تعويض الظاهر بالضمير، وينوع الخطيب قافية أسجاعه من فقرة إلى فقرة. إنّ الحجاج وأمثاله من بلغاء الخطباء الذين تفاعلت فيهم المقدرة البلاغية بمعاناة واقع صعب، ومستمع غير مستمع كانوا يلجؤون إلى الموازنة بين العناصر الدّلالية والصوتية لا يدعون جانبا يلغي الآخر أو يقلل من قيمته[3].

يتضح مما سبق أنّ السجع والازدواج من المحسنات البديعية التي يستعين بها الخطيب لإظهار أفكاره وأهدافه وللتأثير في نفس المتلقي وهذه المحسنات تكون رائعة إذا كانت قليلة ومؤدية المعنى الذي يقصده الخطيب، أمّا غدا جاءت كثيرة ومتكلفة فقدت جمالها وتأثيرها، وأصبحت دليل ضعف الأسلوب، وعجز وعي الخطيب.

1- ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي،(مرجع سابق)، ص 110- 111.

2- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج: 2،(مرجع سابق)،ص275.

3- محمد العمري ،(مرجع سابق)، ص112-113-114، بتصرف.

خطب مرسلة (قليلة الصناعة):

الإرسال هو البعد عن الترصيع والتكلف وبث الكلام في قالب واضح دون إيقاع، وإن وجد فليس طاغيا على اللّفظ إنّما بشكل قليل.

"الخطب المرسلة خطب قليلة العناية بالموازنات الصوتية الإيقاعية خاصة الجناس وهذا الطابع ميز خطب الرّسول والخلفاء والرجال الدولة في الصدر الأول. وخطبة حجة الوداع نموذج لهذا النمط من النثر، الذي حاول أصحابه تحقيق شيء من الإيقاع ولم يهملوه بشكل مطلق"[1].

رغم ذلك لم يخل صدر الإسلام من خطب تلتزم السجع وتلح على التوازن، كوصف أبي بكر وعمر للسيدة عائشة، وألوان الصنعة عرفت في العصر العباسي تشكك في طائفة من خطب علي. وقد أطلق شوقي ضيف حكم مفاده أن الرسول والصحابة تجنبوا السجع في خطبهم، وقد صعب محاكمته إلى النصوص لافتراض تدخل الرواة والمؤلفين وتصرفهم فيها[2].

إذن حاول الخطباء تجنب شيء من التكلف، حتى يتيسر الاستيعاب ولكون هذا النّوع من الخطب يسعى إلى تبليغ المعنى الجديد، رغم أنّ هذا الصنف لم يخل من الإيقاع والترصيع، إنّما وجد بشيء يسير بين الحين والآخر.

الحجاج خطبته حين ولي العراق (سنة 75هـ):

حدث عبد الملك بن عمر الليثي قال:

"بينما نحن في المسجد الجامع الكوفة، وأهل الكوفة يومئذ ذو وحال حسنة، يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه، إذا أتى آت فقال: هذا الحجاج قد قدم أميرا على العراق، فإذا به قد دخل المسجد معتما بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه متقلدا سيفا، متنكبا قوسا، يؤم المنبر فقام الناس

1–ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي،(مرجع سابق)، ص114– 115.

2– المرجع نفسه، ص116.

نحوه حتى صعد المنبر، فمكث ساعة لا يتكلم فقام الناس بعضهم لبعض: قبح الله بني أمية، حيث تستعمل مثل هذا على العراق، حتى قال عمير بن ضابئ البرجمي: ألّا أحصيه لكم؟ فقالوا: أمهل حتى ننظر، فلما رأى عيوب النّاس إليه، حسر الشام عن فيه ونهض[1].

فقال:

- ***أَنَا ابْنُ جَلاَ وطَلاَّعِ الثَنَايَا مَتَى أَضَعِ العِمَامَةَ تَعْرِفُونِي***
- ***صَلِيبَ العُودِ مِن سَلفي نِزَار كَنَصْلِ السَيفِ وضَاحِ الجَبِينِ***
- ***ومَاذَا تَبْتَغِي الشُعَرَاءُ مِنِي وقَدْجَاوزْتُ حَدَّ الأَرْبَعِينَ***
- ***أَخُو خَمسِينَ مُجْتَمِع أَشُدي وَنَجِذني مُلَاورَةِ الشُؤُونِ[2]***

ثم قال: يا أهل الكوفة أمّا والله إني لأحمل الشرّ بحمله، وأخذوه بنعله، وأجريه بمثله، وإني لأرى أبصارا طامحة وأعناقا متطاولة، ورؤوسا قد أيعنت وحان قطافها، وإني لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحية ترقرق ثم قال:

- ***هَذَا أَوانُ الشَّدِّ فَاشْتَدِّي زِيَمْ قَدْ لَفَّهَا اللّيلُ بِسَوَّاق حُطَمْ.***
- ***لَيسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلاَ غَنَمْ ولاَ بِجَزَّار عَلَى ظَهْرِ وَصَمْ.[3]***

ثمّ قال:

قَدْ لَفَّها اللّيلُ بِعَصْلَبِيِّ أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوِّيِّ.

مُهَاجِرٍ لَيسَ بِأَعْرَابِّي.

1– د. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي (مرجع سابق)، ص118.

2– سلامة موسى، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء،(مرجع سابق)، ص 28.

3–أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج:2،(مرجع سابق)، ص275.

ثمّ قال:

قَدْ شَمَّرَتْ عَن سَافِهَا فَشُدُّوا وَجَدَّتِ الحَرْبُ بِكُمْ فَجِدُّوا.

والقَوسُ فِيهَا وَتَرٌ عُرُدٌّ مِثلُ ذِراعِ البَكْرِ أَو أَشَدُّ .

لاَ بُدَّ ممِّا لَيسَ مِنْهُبُدُّ.[1]

"إني والله يا أهل العراق ومعدن الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق ما يقعقع لي بالشنان، ولا يغمز جانبي كتغماز التين ولقد فررت عن ذكاء، وفتشت عن تجربة وجربت إلى الغاية القصوى، وإنّ أمير المؤمنين –أطال الله بقاءه– نثر كنانته بين يديه، فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودا، وأصلبها مكسرا فرماكم بي، لأنكم طالما أوضعتم في الفتن، واضجطعتم في مراقد الضلال، وسننتم سنن الغي أمّا والله لألوحونكم لحو العصا، ولأقرعنكم قرع المروة ولأعصبنكم عصب السّامة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل فإنّكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة، يأيتها رزقا رغدا من كل مكان، فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، وإني والله لا أعد إلا وفيت، ولا أهم إلاّ أمضيت، ولا أخلق إلاّ فريت، فأيايّ وهذه الشفعاء، والزرفات والجماعات، وقالا وقيلا، وما تقول؟ وفيم أنتم وذاك؟ أما والله لتستقيمن على طريق الحق،..... وهدمت منزله".[2]

- **مناسبة الخطبة :**

خرج الحجاج يريد العراق واليا عليها في اثنى عشر راكبا على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار، وقد كان فشا أمر الخوارج وتفاقم، وتثاقل الناس عن اللحاق بمهلب الذي كان يناجزهم، فصعد المنبر وهو ملثم بعمامة حمراء، فقال: علي بالناس، فحسبوه وأصحابه خوارج فهموا به، حتى إذا اجتمع الناس قام ثم كشف عن وجهه وألقى خطبته السالفة الذكر.

1– د. محمد العمري في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)، ص118.

2– أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج:2،(مرجع سابق)،ص 276.

السمات الفنية لخطبة الحجاج:

- تبرز في هذه الخطبة صنعة بدوية تتمثل بالسجع المحكم الفواصل، الشديد الروي.
- تضمين كلامه أبيات من الشعر لتقوية كلامه والوصول به إلى النفوس.
- حشد الخطبة بصور تهويلية ترهيبية:"...إني أرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها..."[1].

شرح الغريب : (والإحالة على الكامل للمبرد).

"حذوت النعل بالنعل والقذة بالقذة قدرتهما عليهما"

- قوله : "إني أرى رؤوسا قد أينعت: يريد أدركت، يقال: أينعت الثمرة إيناعا وينعا"
- زيم: يعني فرسا أو ناقة .
- سواق حطم: الذي لا يبقى من السير شيئا، ويوصف به من يأتي على الزاد، وكذا النار (نار حطمة).
- كل : ماقطع عليه اللحم .
- خراج من الدوي: خراج من كل شديدة.
- وتر عرد: شديد.
- وقوله: "إني والله ... مايقعقع لي بالشنان"، والشن: الجلد الباب.
- الذكاء: تمام السن أو حدة القلب
- عجم عيدانها: "مضغها لينظر أيها أصلب".
- الإيضاح: الضرب من السير .

1- سحر الخليل، مختارات من النثر العربي، دار البداية، طع: الأولى2011م، ص 48-49.

- العصلبي: الشديد الباقي.
- الأروع: الكريم أو الجميل.
- فر: الدابة: كشف عن أسنانها ليعرف عمرها.
- غرائب الإبل الأجنبية عنها في المورد.
- خلق الأديم: قاسه لما يريد من غرض قبل قطعه.[1]

– خطبة فرغانة: تأبين.

روي أنّ فرغانة بنت أوس بن حجر التميمية وقفت على قبر الأحنف بن قيس

" فقالت: إنّا الله وإنّا إليه راجعون، رحمك الله أبا أبحر من مجن في جنن، ومدرج في كفن، فهو الذي ابتلانا بفقدك، وابلغنا يوم موتك، لقد عشت حميدا، ومتّ فقيدا، ولقد كنت عظيم الحلم، فاصل السّلم، رفيع العماد واري الزّناد، منبع الحريم سليم الأديم، وإن كنت في المحافل لشريفا، ومن النّاس لقريبا، وفيهم لغريبا، وإن كنت لمسودا، وإلى الخلفاء لموفدا، وأن كانوا لقولك لمستمعين، ولرأيك لمتبعين ثم انصرفت"[2].

وقد عرف الجاهليون هذا اللون من ألوان الخطابة الاجتماعية، فحينما كان يفقد رجل من ذوي المكانة كان يتبارى الخطباء في تعديد مناقبه وإظهار جسامة مصيبتهم وأساهم على فقده، وقد يتجهون إلى أهل الميت ويعزونهم في فقدهم ويواسونهم في مصابهم.

وقد استمر هذا اللون الخطابي إلى عصرنا الحضر– فالفقيد فقد والمصاب به جلل، وقوة هذا اللون متعلقة بالخطيب ومكانة الخطيب من قلبه– ومنذ عصر صدر الإسلام ألبس هذا اللون هذا

1– ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)،ص 119–120.

2– الجاحظ، البيان والتبيين، ج:2، (مرجع سابق)، ص302.

اللون ثوبا إسلاميا، ففي تأبين الميت تذكر مناقبه وسجاياه الإسلامية، فإذا كان شهيد معركة تحدث الخطباء عن بطولاته في نصرة الحق و ظهروا جسامة فقده ثم يتحدثون عن مكانته الأخوية التي حازها بشهادته في سبيل الله، وإن كان من ذوي المكانة تحدثوا عن ورعه وتقواه وخصاله الإسلامية، مع إظهار كبير الأسى والحزن على فقده، ثم يطبلون له المغفرة والثواب من الله عز وجل، وفي الحالتين يتجهون – غالبا إلى أهل الفقيد يعزونهم في فقده، ويطلبون من الله عز وجل أن يلهمهم الصبر والسلوان.

وقد لوحظ في خطب التأبين التهاب العواطف، وصدق التعبير عن لوعة الفقد، هذا بالرغم مما تحمله العبارات مما تحمله العبارات من الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره.

والملاحظ على خطبة فرغانة أنها تذكر مجموعة خصال الفقيد، وتتحدث عن ألم فقده رغم اعترافها بأن الله هو الذي قدر وما شاء فعل، وذكرت مكانته بين قومه وأنه كان منبع آرائهم ومحط مشورتهم.

وكثيرا ما تلقى خطب التأبين عادة في المقابر أو مجالس العزاء لمواساة ذوي الفقيد بفقيدهم، والفكرة العامة فيها هي تصوير الفاجعة التي حدثت بذوي الفقيد، والإشادة بفضائل الفقيد، وذكر محاسنه.

وصف أبي بكر وعمر من خلال خطبة للسيدة عائشة رضي الله عنها :

- **خطبة السيدة عائشة رضي الله عنها (توفيت سنة57هـ) أهل البصرة يوم الجمل:**

فقالت:" أبي ثالث اثنين الله ثالثهما، وأول من سمي صديق، مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم راضيا عنه، وطوقه أعباء الإمامة ، ثم اضطرب حبل الدين بعده، فمسك أبي بطرفيه، ورتق لكم فتق النفاق، وأغاض نبع الردة وأطفأ ما حش يهود، وأنتم يومئذ جحظ العيون، تنظرون الغدرة و تسمعون

الصيحة، فرأب الثأي، وأود من الغلضة وانتاش من الهوة، واجتحى دفين الداء حتى أعطن الوارد أورد الصادر بحبله".[1]

"فولى من أمركم رجلا مرعيا إذا ركن إليه، بعيدا مابين اللابتين، عركة لأداة بجنبه، صفوحا عن أداة الجاهلين يقضيان الليل في نصرة الإسلام فسلك مسلك السابقة، ففرق شمل الفتنة، وجمع أعضاء ماجمع القرآن، و أنا نصب المسألة عن مسيري هذا، لم ألتمس إثما، ولم أونس فتنة أوطئكموها".[2]

في هذه الخطبة ذكرت السيدة عائشة بعض صفات أبو بكر وعمر والأعمال التي قاما بها في سبيل المحافظة على الدين وامن الرعية.

- **خطبة حجة الوداع للرسول صلى الله عليه وسلم.**

بعد النصر الذي حققه المسلمون بفتح مكة، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أكثر من ألف من المسلمين للحج، وعند جبل عرفات ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبته الخالدة التي تعتبر دستور الدولة الجديدة مناديا بالمساواة بين البشر مبينا قواعد الإسلام.

"قال صلى الله عليه وسلم:(الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل، ومن يضلل فلا هادي، وأشهد أنّ لا اله إلّا الله لاشريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله".[3]

"أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير، أمّا بعد:

1- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج:1، (مرجع سابق)، ص136-137.

2- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي، (مرجع سابق)،ص 122.

3- المرجع نفسه،ص 128-129.

أيُّها الناس اسمعوا مني ابن لكم، فإني لاأدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا، أيّها الناس إنّ دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد."ألّا هل بلغت؟ اللهم اشهد.[1]

"فمن كان عنده أمانة فليؤديها إلى الذي ائتمنه عليها. وإنّ ربا لجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدا به ربا عمي العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم نبدأ به دم عمي عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة، غير السدانة والسقاية، و العمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا و الحجر، وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية".

" أيُّها النّاس إنّ الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك ممّا تحقرون من أعمالكم.

أيُّها النّاس: إنمّا النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدّة ما حرّم الله فيحلّوا ما حرم الله، وإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض وإنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض، منها أربعة حرم: ثلاثة متواليات وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة، والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان".

-ألّا هل بلغت؟ اللهم اشهد؟-[2]

أيُّها النّاس إن لنسائكم عليكم حقا، ولكم عليهن حق، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلاّ بإذنكم ولا يأتين بفاحشة مبنية، فإنّ فعلن فإنّ الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنّما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا: أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا. ألا هل بلغت، اللهم

1- الجاحظ، البيان والتبيين، ج:2، (مرجع سابق)، ص 31.

2- المرجع نفسه، ص31-32.

فاشهد، فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده، كتاب الله.ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

أيُّها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير. وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى . ألّا هل بلغت ؟ اللهم اشهد

قالوا: نعم . قال: فليبلغ الشاهد الغائب.

أيُّها الناس، إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، فلا تجوز لوارث وصية، ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث. والولد للفراش، وللعاهر الحجر. من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله و الملائكة والناس أجمعيين لا يقبل منه صرف ولا عدل. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1] .

وكانت هذه الخطبة في السنة العاشرة للهجرة ، واعتبرت بمثابة دستور للصحابة رضي الله عنهم والمسلمين جميعا. ولم يمض عليها سوى ثلاثة أشهر حتى مرض الرسول صلى الله عليه وسلم مرضا شديدا انتقل بعده لجوار ربه عز وجل.

– الخصائص الفنية لخطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع:

-البعد عن السجع والغريب فقد كان الرسول صلى الله علبه وسلم يكره اللونين جميعا من الكلام لما يدلان عليه من التكلف وهو الذي براه الله منه إذ يقول في كتابه العزيز، قل يا محمد (وما أنا من المتكلفين).

-البعد عن المستكره من الألفاظ واختيار اللفظ الذي يحبب إلى النفوس لحلاوته وعذوبته وصفائه ونقائه.

-الإيجاز والبعد عن الإطالة مع قوة الدلالة.

1– الجاحظ، البان والتبيين، ج:2، (مرجع سابق)، ص 33.

-الاستشهاد بالقرآن كقوله تعالى: (إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله).

-التكرار لتأكيد المعنى كتكراره لقوله:"أيّها الناس، اللهم اشهد، ألّا هل بلغت".

-استخدامه أسلوبي النداء والقسم.[1]

- **تهنئة وتعزية : خطبة عبد الله بن همام السلولي.**

لما توفي معاوية واستخلف يزيد ابنه (سنة60)، اجتمع الناس على بابه ولم يقدروا على الجمع بين التهنئة والتعزية حتى أتى عبد الله بن همام السلولي، فدخل عليه فقال:

"يا أمير المؤمنين أجرك على الله على الرزية، وبارك لك في العطية، وأعانك على الرعية، فلقد رزئت عظيما وأعطيت جسيما، فاشكر الله على ما أعطيت، واصبر له على مارزيت، فقد فقدت خليفة الله، ومنحت خلافة الله، ففارقت جليلا، ووهبت جزيلا، إذ قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه ووليت الرياسة، فأعطيت السياسة فأوردك الله موارد السرور، ووفقك لصالح الأمور"[2].

وأنشد:

فَاصْبِرْ يَزِيد فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا ثِقَةٍ ...وَاشْكُر حِبَاء الّذِي بالمَلْكِ أَصْفَاكَا

لاَ زرْءَ أَصْبَحَ فِي الأَقْوَامِ نَعْلَمُه...كَمَا رُزِئْتَ، وَلا عُقْبَى كَعُقْبَاكَا

أَصْبحْتَ وَالِيَ أَمْرِ النَّاسِ كُلِّهِم...فَأَنْتَ تَرْعَاهُمْ وَاللّهُ يَرْعَاكَا

وفِي مُعَاوِيَةَ البَاقِي لَنَا خَلَفٌ...إِذَا نُعِيتَ، وَلا نَسْمعْ بِمَنْعَاكَا.[3]

1- سحر الخليل، النثر العربي،(مرجع سابق)، ص 37.

2- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)، ص125- 126.

3- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج:2، (مرجع سابق)، 250-251.

وقد اتسمت خطب التعزية بفتور العواطف، والمبالغة في تعديد مناقب الميت وحث ذويه على الصبر على فقده، وهذا أمر طبيعي فالتأبين دافعه صلة القربى، والعزاء إرضاء لذوي الميت.

وعبد الله بن همام هو أول من فتح الباب في الجمع بين تهنئة وتعزية، فولجه الناس، كما روي من غير وجه.

المبحث الثاني: في ترتيب أجزاء القول وخطبة الحجاج في أهل الكوفة والشام.

- **ترتيب أجزاء القول:**

رأى أرسطو أن التقسيم التقليدي ليس مناسبا لجميع أنواع الخطب ، فلا يوجد في نظره إلا خطوتين: عرض القضية والبرهنة عليها ، ويرى بيرلمان أن الترتيب في قضايا البرهنة الشكلية غير ذي أهمية .

والملاحظ أن الترتيب عند أرسطو وظيفي إذ يتعلق الأمر دائما بالغرض المستهدف و الوسائل المرصودة له، وفي نص من كتاب الخطابة مفاده أن: أن الكلام جزأين: ذكر الموضوع ثم البرهنة ذلك أنّه حين نبرهن إنّما نبرهن على شيء. وأولها العرض وينبغي أن يكون واضحا ومختصرا، والثانية الدليل وينبغي أن يكون قوية، وتقديمها تنازلا أو تصاعدا، بالنظر إلى الظرف والمعطيات العامة التي يراعيها الخطيب أما الخاتمة فهي بدون فائدة إذا كان العرض قصيرا وترتيب الأجزاء يسير في ثنائية وهي: ثنائية الدعوة العاطفية في المقدمة و الخاتمة و الدعوة إلى الواقع والعقل في العرض و الدليل.[1]

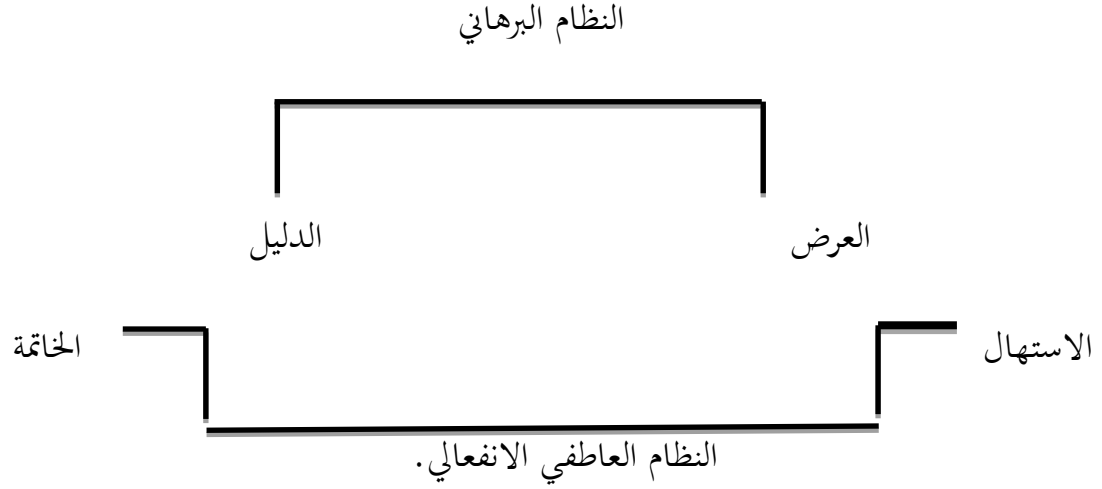

1-ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي (مرجع سابق) ص127-128-129.

والاستهلال يحتوي لحظتين: لحظة الاستهواء والاستمالة، ذلك حسب طبيعة القضية المطروحة، ولحظة الإعلان عن التقسيم المتنبي والتخطيط المتبع، وللخاتمة مستويين: مستوى الأشياء، ومستوى العواطف[1].

نموذج عام:

خطبة للحجاج في أهل الكوفة وأهل الشام:

"يا أهل الكوفة إن الفتنة تلقح بالنجوى، وتنتج بالشكوى وتحصد بالسيف، أما والله إن أبغضتموني لا تضروني وإن أحببتموني لا تنفعوني، وما أنا بالمستوحش لعداوتكم، ولا المستريح إلى مودتكم زعمتم أني ساحر"[2].

وقد **قال الله﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾**[3]، "وقد أفلحت، وزعمتم أني أعلم الاسم الأكبر، فلم تقاتلون من يعلم مالا تعلمون؟ ثم التفت إلى أهل الشام: لأزواجكم أطيب من المسك، ولأبناكم آنس بالقلب من الولد، وما أنتم إلا كما قال أخو بن ذبيان:

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورا فَإِنِي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِي.

هُمُ دِرْعِي التِي اسْتَلأَمت فيها إِلَى يوم النِّسَارِ، وهُمْ مِجَنَّى.[4]

1- ينظر : محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي (مرجع سابق) ، ص 129-130.

2-المرجع نفسه، ص 134.

3- سورة طه، الآية 69.

4- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج: 2، ص 281..

ثم قال:" بل أنتم يا أهل الشام، كما **قال الله سبحانه**﴿**وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾**﴾[1] ثم نزل.

تحتوي هذه الخطبة، برغم قصرها على جميع مقومات الخطاب الإقناعي كل بقدار.

1. البراهين الخطابية:

- براهين جاهزة: الاستشهاد بآيتين من القرآن وبيتين من الشعر ما يكون حوالي ثلث الخطبة.
- براهين غير جاهزة: التقسيم والمقابلة بين المعاني لادعاء الاستقصاء والإحاطة.(تلقح تنتج،حصد) (البغض، المحبة) (العداوة، البغضاء)، القياس المضمر (زعمتم أني ساحر...) (زعمتم أني أعلم الاسم الأكبر...)

2. الأسلوب يقوم على:

- غلبة الموزانات الصوتية – الإيقاعية –: فقر متناظرة التركيب، ومتجانسة القافية خاصة في الجزء الأول من الخطبة، يدعم ذلك بيتان من الشعر ثم يميل إلى الاسترسال مع الآية القرآنية في نهاية الخطبة، ليجنب الخطبة التكلف الذي يسيء إلى الوظيفة الإبلاغية.[2]
- المقابلة بين المعاني والحالات: معاني الحب والكراهية، وحالة أهل الكوفة وأهل الشام.
- الميل إلى التصوير في بداية الخطبة: تشبيه الفتنة بما يلقح وينتج ويحصد.

3. تنظيم أجزاء القول:

- بدأ بقضية عامة بداية الفتنة (أية فتنة)، ونهايتها.
- ثم تحدث عن رأي أهل الكوفة فيه وقلّة اكتراثه بهم، وفضل عليهم أهل العراق نكاية لهم.

1– سورة الصافات، الآية 171– 173.

2– محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي،(مرجع سابق)، ص 135.

– ختم بآية قرآنية فيها تهديد وتيئيس لهم، وهو في ذلك كله يراعي المقام والذوق العربي الميال إلى الإيجاز في مثل تلك المواقف.[1]

- **من الخطابة إلى الكتابة الفنية.**

لقد أكد البعض (حسب عبارة هملتون جيب)، انه كانت توجد للعرب بالفعل آداب نثرية في العصر الجاهلي...، ومع كل فلو أنه وجدت كتب مدونة من الأدب المنثور في جزيرة العرب في العصر الجاهلي لعد عجيبا اختفاء آثارها هذا الاختفاء الكلي حتى من أحاديث العرب المنقولة، ولم تصل ذكريات عن زمن الجاهلية – عدا الشعر– غير بعض الخطب و الأمثال و الحكم و الأسجاع وبعض القصص، مما تناقلته الألسن شفويا.[2]

والجاحظ الذي عني بالنثر عناية فائقة، ولم يساوره شك، ولا أبدى ترددا، وهو يتحدث عن الخطابة لم يذكر الأدب ضمن مجالات استعمال الكتابة حين تحدث عن فضلها في مجالات مختلفة: "ولولا الخطوط لبطلت العقود والشروط والسجلات والصكاك، وكل إقطاع وكل إنفاق وكل أمان وكل عهد وعقد وكل جوار وحلف، ولتعظيم ذلك والثقة به، والاستناد إليه، كانوا يدعون في الجاهلية من يكتب لهم ذكر الحلف والهدنة تعظيما للأمر وتبعيدا من النسيان".[3]

وما وصلنا من رسائل صدر الإسلام، واعتبر امتدادا لما يحتمل وجوده من مكاتبات في الجاهلية فإننا نحكم مباشرة بأنها كانت بسيطة لا تخرج عن المجالات التي حددها الجاحظ.

ويعتقد طه حسين أن النثر الفني، وهو الذي فيه شيء من الفن، وفيه ميل إلى أحداث اللذة عند القارئ فوق العناية بتأدية الفكرة إنما ظهر في أول القرن الثاني ، ويرى أن النثر العربي لم يؤسس كاتب بعينه وإنما نشأ نشأة طبيعية ملائمة للشعب العربي الإسلامي.[4]

1– محمد العمري في بلاغة الخطاب الإقناعي (مرجع سابق) ص 136.

2– المرجع نفسه ،ص137–138، بتصرف.

3– الجاحظ، كتاب الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، ج: 1، طع: الثانية،1965.ص 69.

4 ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي،(مرجع سابق)، ص139.

ويعتبر بلاشير من بين الذين يؤرخون ظهور النثر الفني إلى القرن الثاني، ويربطونه بالظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية المطبوعة بالمثاقفة وتبادل التأثير أو يتشددون في تحديد الأدبية فيشترطون عدم المباشرة في الأداء.

ومن النماذج المبكرة – فيما صحت– إلى العصر الإسلامي الأول، رسالة عثمان بن عفان إلى علي بن أبي طالب (يوم الدار). وقد لجأ فيها إلى التصوير والتمثيل، فشبه الثورة وتعقد الأمر بالفيضان والفرق[بلغ السيل الزبى... ارتفع أمر الناس...)،[1] وهذا طابع بعض الرسائل المتبادلة أطراف الصراع في صدر الدولة الأموية، من ذلك رسالة يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة .

ومهما يكن من اقتراب هذه الرسائل من الخطابة، فالثابت أن الكتابة الفنية بدأت تشق طريقها منذ نهاية صدر الإسلام ساهمت ظروف مختلفة في نشأتها وتطورها حتى بلغت مرحلة نضجها نجملها فيما يلي:

1. كتابة النص النثري وتدوينه، وأول نص هو القرآن الكريم.
2. كما اهتم الناس في الصدر الأول بالكتابة لتنظيم شؤون الدولة والحياة الاجتماعية.[2]
3. ازدهار فن نثري آخر وهو الخطابة واقتحام مجالات الحياة العامة والخاصة.
4. هيكلة الدولة الإسلامية، واستعمال الكتابة في الشؤون الإدارية.
5. تطور الحياة العقلية ونشأة العلوم.
6. المثاقفة ودورها في نشأة النثر وتطوره، إذ كان كثير من الكتاب المشهورين مثل: سالم وعبد الحميد بن باديس، وابن المقفع يعرفون الفارسية أو اليونانية.
7. التطور الحضاري ونشوء مراكز ثقافية، مع تكون طبقة اجتماعية مستقرة لها القدرة والوقت للكتابة.

1– محمد العمري، في البلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)، ص 142.

2– المرجع نفسه، ص 143– 144.

وينبغي الاعتراف أن المكاتبات في صدر الإسلام لم تحفظ في سجلات خاصة، وكان ذلك سببا في أن تناولها غير مؤرخ وأديب بالتبديل والتحسين.[1]

وقد كانت الكتابة ضرورة إدارية ملحة لا غنى عنها في إدارة شؤون الدولة والمجتمع والمكاتبات والدواوين المختلفة وزادت الحاجة إليها بعد اتساع الدولة الإسلامية عن طريق الفتوح وتفرق الولاة والعمال في الأقطار واحتاجت الدولة إلى أن تبلغ أولئك الولاة والعمال وغيرهم من أصحاب المناصب في الأمصار المختلفة أمورا تتعلق بالسياسة أو الإدارة، فحدثت كتابة الرسائل.[2]

معنى ذلك أن ظهور الكتابة ارتبط أساسا بالإدارة وشؤون الدولة، وضرورة التواصل مع أصحاب المناصب والولاة فكان ظهور الرسائل نتيجة حتمية لتبليغ الأمور السياسية المتعلقة بالدولة .

وقد كان لمن يشتغل بالكتابة مكانة رفيعة عند الناس، لذلك نجد (سعيد بن العاص) يردد قوله: "من لم يكتب فيمينه يسرى"،[3] ونجد كذلك (المؤيد) يقول: "الكتابة أشرف مناصب الدنيا بعد الخلافة إليها ينتهي الفضل وعندها تقف الرغبة".

وقد تجلت بواكير الكتابة في أواخر العصر الأموي، بفضل موهبة (عبد الحميد بن يحي الكاتب) لأنّه كان شديد الاتصال بالثقافة اليونانية وهذا ما يؤكده (طه حسين) بقوله:" ولعبد الحميد خاصة لغوية أو فنية، هي التي تحملني على أن أرجح أنه كان شديد الاتصال باليونان"،[4] إذن يعتبر عبد الحميد بن يحي رائد ظهور فن الكتابة لاتصاله القوي بالثقافة اليونانية.

وكانت الكتابة في العصر الأموي تعرف بالرسائل، وقد جعل لها ديوان خاص سمي بديوان الرسائل وكان لهذا الديوان رئيس يسمى الكاتب وقد كانت مهمته إنشاء الرسائل التي كان الخليفة يبعث بها

1- ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي (مرجع سابق) ، ص 145-146-147.

2- عمر فروخ، الأدب العربي القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية،دار العلم للملايين، بيروت،ج: 1، طع: الرابعة، ص374.

3- ابن عباس أحمد القلقشند، صبح الأعشى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة- مصر-، ج1، ص37.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

إلى الولاة والعمال أو إلى الملوك الآخرين،[1] لقد اعتبرت الرسائل من بواكير الكتابة، ومهدت لظهور هذا الفن بشكل عام، في سبيل تثبيت المخطوطات وإحصائها خوفا من ضياعها.

ثم تطورت الرسائل وأصبحت صناعة ذات قواعد وأصول، فأصبح لها مطالع بها تحميدات تختلف باختلاف المقام، ولها كذلك خواتيم تختلف أيضا بحسب ذلك، ونجد في متن الرسالة أشياء من السجع والموازنة، ومن التأنق في التعابير والجمل، إلا أن التراسل ظل فنا رسميا يتعلق بأمور الدولة.[2]

من ذلك يفهم أن الرسائل تعدت مجرد كونها رسائل للتواصل فقط، بل أصبحت صناعة تضبطها قواعد وأصول، فأصبح يراعى فيها عنصر المقام، ولها مقدمات وخواتيم أيضا بحسب الحال، ووجد بها شيء من الموازنة والسجع.

ولقد برز في الكتابة الفنية لون جديد منها، ظهر بوضوح في هذا العصر، يتمثل في فن التوقيعات وهو الكتابة على هوامش الرسائل التي ترفع إلى الخلفاء والولاة وذوي الشأن بما يفيد العلم به، وتميز هذا الفن بالإيجاز، ولطف الإشارة، وقوة الإثارة وكثيرا ما يكون التوقيع آية مقدمة، أو حديثا مرويا أو حكمة أو مثلا أو بيتا من الشعر.

وعطفا على ما قيل يلاحظ ظهور فن الكتابة على هوامش الرسائل، وقد تميز بالإيجاز، لين الإشارة شديد الإثارة مثل: آية مقدمة، أو حديث متداول الرواية...

ويلاحظ من ذلك أن النثر مرتبط بحياة الأمم والشعوب ارتباطا مباشرا فهو ينمو بنموها ويموت بموتها، لذلك نجده في العصر الأموي تطور وازدهر، لان هذا العصر كان حافلا بحركة نشطة على جميع المستويات السياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية أسهمت في رقي هذا الفن خاصة في جنسية الخطابة والرسائل.

1- ينظر: عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، (مرجع سابق)، ج:1، ص375.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص نفسها.

الدواوين وتطور النثر المكتوب:

بدأت الدواوين تتكون منذ عهد عمر بن الخطاب، يتولى الكتابة فيها كتاب من الموالي، إذ لم تكن كلها عربية، بيد أن هذه الدواوين بعيدة عن هموم الكتابة الفنية، فهي أرقام وإحصاءات ولوائحولم يرد ذكر لديوان الرسائل عند الجهشياري إلا في عهد الملك بن مروان،[1] وكان يكتب لعبد الملك على ديوان الرسائل أبو الزعيزعة مولاه .

ويذهب القلقشندي في صبح الأعشى إلى نقيض ذلك في قوله:[اعلم أن هذا الديوان أول ديوان وضع في الإسلام، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكاتب أمراءه وأصحاب سراياه من الصحابة ويكاتبونه، وكتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام...)، وكان الحجاج يراقب كتاب ديوانه وربما عزل من لا يتقنصنعته].

ومن كتاب الرسائل العرب: عبد الله بن أوس، وعبد الله بن أبي بكرة ويحي بن يعمر، وقبيصة بن ذئيب، وروح بن زنباع.[2]

ولا شك أن لولوج ديوان الرسائل مقاييس واعتبارات لا تعود إلى القبيلة أو الجنس أو الأسبقية في الإسلام فتلك أوراق يراهن عليها العرب، ولكنها تعود إلى تجويد الكتابة وإتقان قواعدها.

وهكذا يمكن القول بأن الكتابة الفنية بدأت مع الرسائل ثم أمم خطواتها مع الكتابة الديوانية، ومع وجود الكاتب المثقف المتخصص.[3]

1- ينظر: محمد العمري في بلاغة الخطاب الإقناعي، (مرجع سابق)، ص147.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 148- 149.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص 150-151.

المبحث الثالث: دراسة وتقويم

دراسة وتقويم:

يعتبر كتاب في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية)[الخطابة في القرن الأول نموذجا]،بعث لأراء أرسطو حول الخطابة ومحاورها في شكل كتاب ليسهل الإطلاع عليها، وهذا العمل جدير بالتثمين، وكان هدفه الأسمى هو الفصل بين الخطابة والشعر وتفنيد فكرة معاملة النص الشعري نفس معاملة النص الخطابي الإقناعي، وإن كان استفاد من بحوث سابقيه.

وباعتبار أرسطو قد تنبه لذلك عمد المؤلف إلى إظهار آرائه ومباحثه حول الخطاب الإقناعي معتمدا على جملة المصادر والمراجع التي ثمنته عمله، من أمهات الكتب، فهو يعتبر أن البحث في بلاغة الخطاب الإقناعي ظل مغتربا، يعيش حياة الشتات، في ديار المنطق، أو ديار اللسانيات التداولية وبذلك ظل بعيدا عن النص الخطابي القديم والحديث، كما ظل بعيدا عن حليفه التاريخي وقسيمه هموم الخطاب البلاغي، أي الشعر والشعرية.

ومازال الطالب الجامعي، ودارس الخطاب الإقناعي يقلب بصره في رفوف المكتبة العربية فلا يجد شيئا في هذا الموضوع، فيولي وجهته نحو المكتبة الفرنسية و الإنجليزية، وكتابه (في بلاغة الخطاب الإقناعي متوجه في صميم عمله إلى التطبيق على الخطابة العربية في القرن الأول الهجري.

والبلاغة أحد أهم الأبواب المركزية و الضرورية في قراءة الخطاب، فالاشتغال على خطاب يحكمه الوعي أو اللاوعي يقتضيهما معا، ويقتضي من الباحث أن يكون قادرا على تفكيك أسرار البلاغة ومخادعها وحيلها، وهذا عمل لا يمكن أن يتحقق في نظرنا من دون العودة إلى التراث البلاغي.

والخلاصة: أن بلاغة الخطاب الإقناعي من الإشكاليات التي شغلت التفكير الإنساني على امتداد القرون و التراث العربي يسمح بقراءته بالشكل الذي يجعله يساهم في إغناء التفكير البلاغي المعاصر.

وتعد الخطابة في أدبنا العربي من أهم فنون الأدب، وتمثل مرحلة من مراحل تطور هذا اللون الفني في الأدب العربي، ولذا درس هذا الفن عدد من الدارسين، وفيما يلي عرض لبعض الدراسات التي تناولت هذا الفن بايجاز:

- تناول ضيف(1963)، في كتابه النثر في العصر الإسلامي موضوع الخطابة في العصر الراشدي وكيف ارتفعت في هذا العصر ولكن بايجاوز شديد. وقد أفادت الدراسة من هذا الكتاب في التعرف على بعض الخطب في عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكيف ساعدت على نمو فن الخطابة .
- أما صفوت،(1974)، في كتابه جمهرة خطب العرب في عصر العربية، فقد تعرض الكتاب بشكل موجز إلى الخطب في العصر الإسلامي والعصر الراشدي، وذكر أهم الخطب التي وردت في عصر أبي بكر وعمر بن الخطاب .
- عرض الحوفي،(1977)، في كتابه فن الخطابة لمفهوم الخطابة، وأسسها ، وموضوعاتها رابطا بينها وبين الأسطورة والتاريخ... ثم أشار إلى بنائها وتطورها.
- وتناول أبو زهرة(1980)، موضوع الخطابة في العصر الأدب العربي القديم، وأنواع الخطب في العصور الأدبية، تحدث فيه عن أصول الخطابة،وعرض نماذج من نصوص الخطب عند العرب امتدت من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر العباسي مرورا بالخطابة في العصر الراشدي ولكن بايجاز شديد .
- البدري(1994)، تحدث عن النثر في العصر الإسلامي والأدب الراشدي، وتحدث عن الخطابة في العصر الراشدي بشكل موجز وبسيط، وعرض لأهم الموضوعات الخطابية في عصر الخلفاء الراشدين، وتعرض لبعض الخطب التي خطبها عمر بن الخطاب بشكل موجز.

ونجد أن محمد العمري قد أشار إلى ضرورة أن نميز بين بلاغة الخطابة، وبلاغة الشعر، فبلاغة الخطابة قائمة على "علم البيان" الذي أرسى الجاحظ دعائمه في فترة كانت فيها الجدالات كلامية، والبحث عن الدليل من القرآن والسنة، والمحاورات والنقاشات محتدمة بين الفرق الإسلامية، التي يسعى كل

منها إلى إنتاج (خطاب) تكون بلاغته كفيلة بكسب أكبر عدد من المؤيدين. لذا فلا غرو أن نجد الجاحظ يطابق بين المعنيين " الخطابي والبلاغي" [تماما مثل مطابقة بيرلمان بين البلاغة والحجاج] ويهتم بوسائل الإقناع الشكلية والمضمونية [مستويي الهيئة والخطاب]. لذلك اهتم بالمقام وبمحدداته وإمكاناته، هذا علاوة على تركيزه على الجوانب البراجماتية. أما بلاغة الشعر فتقوم على "علم البديع" وبذلك فإن بلاغة الخطابة تكرس النظرية الحوارية التي تسعى إلى كسب الآخر، في حين ترتبط بلاغة الشعر بالصراع بين القدامى والمحدثين حول الإبداع وتوظيف اللغة.

ونجد محمد العمري في كتابه هذا نظر إلى الحجاج بطابع إقناعي تأثرا بالفلاسفة اليونانيين:" إذ يقول: لقد حمل أفلاطون في محاوراته على الخطابة لاهتمامها بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة " لهذا اعتمد على الدعائم الأرسطية لبلاغة الخطاب والتي ربطها أيضا بالإقناع فيقول:" وبدأ الحنين إلى " ريطورية" أرسطو التي تتوسل إلى الإقناع في كل حالة على حدة بوسائل متنوعة حسب الأحوال فبلاغة الخطابة أصبح لها دور فعال في التأثير في أحوال الناس، وقد ركز على المقام خصوصا في الخطابة السياسية، وهي محاورة بين الأنداد ويكثر فيها النصح والمشاورات... والخطابة الاجتماعية وتكون فيها خطب في موضوعات اجتماعية تتناول العلاقة بين الناس وتنظيم المجتمع، وخطب ذات طبيعة وجدانية هدفها المشاركة في المسرات والأحزان... وتعتمد على الحجج المقنعة ةالأسلوب الجميل المؤثر.

المبحث الرابع: نماذج من الخطب العربية.

نماذج من الخطب العربية:

مناظرة بين عبد الله بن عباس والخوارج:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما خرجت الحَرُورية اجتمعوا في دار وهم ستة آلاف، أتيت علياً، فقلت: يا أمير المؤمنين، أَبرد بالظهر لَعلّي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم، قال: إني أخاف عليك قلت: كلا، قال ابن عباس: فخرجت إليهم، ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن، قال أبو زُمَيل: كان ابن عباس جميلا جهيرا.

قال ابن عباس: فأتيتهم وهم مجتمعون في دارهم قائلون، فسلّمت عليهم، فقالوا: مرحبا بك يا ابن عباس، فما هذه الحلة؟ قلت: ما تعيبون علي؟ لقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل،[1] ونزلَ **قوله تعالى** ﴿**قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢**﴾[2]، قالوا: فما جاء بك؟ قلت آتيتكم من عند صحابة النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار، لأبلغنكم مايقولون المخبرون بما يقولون، فعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بالوحي منكم، وفيهم انزل، وليس فيكم منهم احد، فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشا، فإن **الله يقول** ﴿**وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨**﴾.[3]

قال ابن عباس: وأتيت قوما، لم أرى قوما قط أشد اجتهادا منهم، مسهمة وجوههم من السهر كأن أيديهم وركبهم تثنى عليهم، فمضى من حضر، فقال بعضهم: لنكلمنه ولننظرن مايقول.

1- إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب،(مرجع سابق)، ص248- 249.

2- سورة الأعراف، الآية 32.

3- سورة الزخرف، الآية 58.

قلت: أخبروني ماذا نقمتم على ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وصهره المهاجرين والأنصار؟ قالوا: ثلاث، قلت: ما هن؟ قالوا: إحداهن فإنه حكم الرجال في أمر الله، **وقال الله تعالى** ﴿**مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠**﴾[1]، وما للرجال وما للحكم؟ فقلت: هذه واحدة، قالوا: أما الأخرى فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، فلئن كان الذي قاتل كفارا، لقد حلّ سبيُهم وغنيمتهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حلّ قتالهم. قلت: هذه اثنتان، فما الثالثة؟ قال: إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير الكفار. قلت: أعندكم سوى هذا؟ قالوا: حسبنا هذا.

فقلت لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله، ومن سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ما يُرَدُّ به قولكم أترضون؟

قالوا: نعم، فقلت: أمّا قولكم: حكّم الرجال في أمر الله فأنا أقرأ عليكم ما قد رُدَّ حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم في أرنب ونحوها من الصيد، فنشدتم الله أحُكم الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل، أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم؟ وإن تعلموا أن الله لو شاء لحكم، ولم يصيّر ذلك إلى الرجال.

وفي المرأة وزوجها **فقال الله تعال** ﴿**وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥**﴾[2]، فجعل الله حكم الرجال سنة مأمونة.

1– سورة يوسف، الآية 40.

2– سورة النساء، الآية 35.

أخرجت عن هذه؟ قالوا: نعم.[1]

قال: وأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم، أتسبون أمكم عائشة ثم تستحلون منها ما يستحل من غيرها؟ فلئن فعلتم لقد كفرتم وهي أمكم، ولئن قلتم: ليست أمنا لقد كفرتم، فإن **الله يقول**: ﴿**ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ۝٦**﴾[2]، فأنتم تدورون بين ضلالتين: أيهما صرتم إليها صرتم إلى الضلالة، فنظر بعضهم إلى بعض. قلت: أخرجت من هذه؟ قالوا نعم.

قال: وأما قولكم محا اسمه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون وأريكم، فقد سمعتم أن النبي صلى الله عليه وسلم، يوم الحديبية كاتب سهيل بن عمرو وأبا سفيان وأبا سفيان بن حرب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمير المؤمنين:" اكتب يا عليّ: هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله" فقال المشركون: لا والله ما نعلم إنك رسول الله، لو نعلم إنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" اللهم إنك تعلم أني رسول الله، اكتب يا علي: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله".

فو الله لرسول الله خير من عليّ، وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه، قال عبد الله بن عباس: فرجع من القوم ألفان، وقتل سائرهم على ضلالة.[3]

1- إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب،(مرجع سابق)، ص250.

2- سورة الأحزاب، الآية 6.

3- إسماعيل علي محمد(مرجع سابق)، ص 250-251.

- **خطبة الحجاج في أهل العراق:**

كان الحجاج بن يوسف الثقفي عامل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان وتوفي سنة 97 هـ الموافقة لسنة716م،وكان شرس الطبع سفاك للدماء ولم يكن يخجل من الجهر بأن أكبر لذاته سفك الماء. وهو الذي بني مدينة واسط وينسب إليه وضع علامات للحروف المشتبهة في الخط العربي حتى لا يقع تصحيف في القرآن. ولولاه لاستفحل أمر الخوارج فهو الذي ضحد شوكتهم بما أرسله عليهم من الجيوش تلو الجيوش .

ومما يحكى عنه أنه قال في إحدى خطبه "سوطي سيفي ونجاده في عنقي وقائمه في يدي ودبابه في يدي لمن اغتر بي ". وكان الحسن حاضرا فقال: "بؤسا لهذا ما أغره بالله".

"إن الشيطان قد استبطنكم فخلط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف، ثم مضى إلى الأمخاخ والأصماخ ، ثم ارتفع فعشش ثم باض وفرخ، ثم دب ودرج فحشاكم نفاقا وشقاقا وأسعركم خلافا اتخذتموه دليلا تتبعونه وقائد تطيعونه ومؤامرا تستشيرونه وتستعمرونه فكيف تنفعكم تجربة ؟أو يعضكم وقعة أو يحجزكم إسلام أو يردكم إيمان ألستم أصحابي بالأهواز حيث رمتم المكر، وسعيتم بالغدر واستجمعتم للكفر. وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته. أن أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لو إذا وتهزمون سراعا. يوم الزاوية وما يوم الزاوية. بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص قلوبكم إذا وليهتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها. النوازع إلى أعطانها لا يسأل المرء عن أخيه، ولا يلوي الشيخ على بنيه. حتى عضكم السلاح وقمصتكم الرماح. يوم دير الجماجم وما يوم دير الجماجم .إنها كانت المعارك والملاحم يزيل الهام عن مقيله، ويذهل الخليل عن خليله.[1]

1– الجاحظ، البيان والتبيين، ج:2،(مرجع سابق)، ص138– 139.

يا أهل العراق، الكفرات بعد الفجرات والغدرات بعد الخترات والنزوة بعد النزوات إن ...هل أستحلفكم ناكث واستغواكم غاو واستفزكم عاص واستخركم ظالم واستعضدكم خالع إلا وثقتموه وآويتموه وغررتموه ونصرتموه ورضيتموه. يا أهل العراق ألم تنهاكم المواعظ، ألم يزجركم الوقائع.

- **خطبته وقد أرجف أهل العراق بموته:**

مرض الحجاج ففرح أهل العراق، وأرجفو بموته، فلما بلغه تحامل حتى صعد المنبر فقال:

" إن طائفة من أهل العراق والشقاق ، نزغ الشيطان بينهم فقالوا: مات الحجاج ومات الحجاج فمه ؟ وهل يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت؟ والله مايسرني ألا أموت وأن لي الدنيا وما فيها وما رأيت الله رضي بالتخليد إلا لأهون خلقه عليه إبليس قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين وقد دعا الله العبد الصالح فقال: ربي اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فأعطاه ذلك إلا البقاء فما عسى أن يكون أيها الرجل وكلكم ذلك الرجل كأني والله بكل حي منكم ميتا وبكل رطب يابسا ونقل في ثياب أكفانه إلى ثلاثة أذرع طولا في ذراع عرضا وأكلت الأرض لحمه ومصت صديده وانصرف الحبيب من ولده يقسم الخبيث من ماله إن الذين يعقلون يعلمون ما أقول".[1]

- **خطبة لزياد بن أبيه:**

كان زياد داهية من دهاة العرب ولم يكن يعرف له أب فاستلحقه معاوية بن أبي سفيان بأسرته وادعى أنه أخوه وولاه الولاية فأخلص له الخدمة وفتك بشيعة علي وجعل يتعقبهم في أمحاء ولايته وقد مات سنة (53هـ)[674م] قيل أن معاوية ولاه البصرة وخراسان سحستان. والفسق بالبصرة ظاهر فاش فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها:

" أما بعد فإن الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والعمى الموفى بأهله على النار مافيه سفهائكم وتشتمل عليه حلمائكم من الأمور العظام ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير، كأنكم لم

1– أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة،ج:1،(مرجع سابق)، ص186–187.

تقرؤوا كتاب الله. ولم تسمعوا لما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته. والعذاب العظيم لأهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول. أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا. وسدت مسامعه الشهوات، واختار الفافية على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه من تركككم هذه المواخير المنصوبة. والصفقة المسلوبة. في النهار المبصر. والعدد غير قليل. ألم يكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار... كل امرئ منكم يذب عن سفيهه: صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجوا معادا. ما أنتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء. فلم يزل من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام...".[1]

حرام علي الطعام والشراب بالأرض حتى أسويها هدما واحرافا. إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله: لين في غير ضعف وشدة في غير عنف. وإني أقسم بالله لآخذن الولي بالمولى والمقيم بالضاغن. والمقبل بالمدبر. والصحيح بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول: انج سعيد فقد هلك سعد. أو تستقيم لي قناتكم. إن كذبة الأمير تلفى مشهورة. فإذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم مصيبتي.

من نقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب له. فإياي ودلج الليل فإني لا أوتي بمدلج إلا سفكت دمه، وقد أجلتكم في ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم. وإياي ودعوى الجاهلية. فإني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه. وقد أحدثتم إحداثا لم تكن وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة فمن أغرق قوما أغرقناه ومن أحرق قوما أحرقناه. ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه. ومن نبش فبرا دفناه فيه حيا. فكفوا عني ألسنتكم وأيديكم أكف عنكم يدي ولساني.[2]

ولا تظهر من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه. وقد كانت بيني وبين قوم احن فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي. فمن كان محسنا فليزدد في إحسانه. ومن كان مسيئا

1- الجاحظ ،البيان والتبيين، ج:2،(مصدر سابق)،ص62-63.

2- المصدر نفسه، ص 63.

فلينزع عن إساءته إني وإن علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا ولم أهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته فأن فعل لم أناظره، فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم، فرب مبتئس بقدومنا سنسره، ومسرور بقدومنا سنسوؤه.[1]

أيها الناس إنا أصبحنا لكم سادة، وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيئ الله الذي خولنا، فلنا عليكم السمع والطاعة في ما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا، واعلموا إني مهما أقصر فيه فلن أقصر عن ثلاث: لست محتجبا عن طالب حاجة ولو أتاني طارقا بليل، ولا حابسا عطاء ولا رزقا... ولا مجمرا لكم بعثا.

فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم فإنهم ساستكم المؤدبون لكم وكهفكم الذي إليه تأوون، ومتى يصلح تصلحوا، ولا تشربوا قلوبكم بعضهم فيشتد لذلك أسفكم، ويطول له حربكم ولا تدركوا حاجتكم مع أنه لو استجبت لكم فيهم لكان شرا لكم، أسأل الله أن يعين كلا على كل، وإذا رأيتموني أنفذ فيكم أمرا فانفذوه على إدلاله، وأيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صراعي.[2]

غرض الخطيب من إلقاء هذه الخطبة هو القضاء على ما كان بالبصرة من شغب وتهدئة الجو للدولة ورأى الخطيب أن يصل إلى مأربه باستعمال أساليب عديدة منها التهديد الرهيب، والوعيد والإقناع و..الخ وإنه نجح فيما أراده. بحيث مع كياسته وحذاقته وعد المستقيمين خيرا، وجعل لهم الحق في محاسبته على كذبه وأعلن أنه لن يحتجب عن ذوي الحاجات ولن يحبس العطاء أو يحجز البعث وبهذا كانت له أمنيات بجانب تهديده.

1– الجاحظ ،البيان والتبيين، ج:2،(مصدر سابق)، ص 64.

2– ا المصدر نفسه، ص74.

رثاء محمد بن الحنفية لأخيه الحسن:

لما مات الحسن بن علي رضي الله عنهما، أدخله قبره الحسين ومحمد بن الحنفية، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، ثم وقف على قبره، وقد اغرورقت عيناه وقال:

"رحمك الله أبا محمد، فلئن عزت حياتك، لقد هدت وفاتك، ولنعم الروح روح تضمنه يدك ولنعم الجسد جسد تضمنه كفنك، ولنعم الكفن كفن تضمنه لحدك، وكيف لا تكون كذلك، وأنت سليل الهدى، خامس أصاب الكساء، وخلف أهل التقوى، وجدك النبي المصطفى، وأبوك علي المرتضى، وأمك فاطمة الزهراء، وعمك جعفر الطيار في جنة المأوى، وغذتك أكف الحق، وربيت في حجر الإسلام، ورضعت ثدي الإيمان، فطبت حيا وميتافلئن كانت الأنفس غير طيبة لفراقك، إنها غير شاكة أن قد خير لك، وإنك وأخاك لسيدا شباب أهل الجنة فعليك أبا محمد منا السلام".[1]

تنتمي هذه الخطبة إلى صنف الخطابة التأبينية، فيها ذكر الخطيب بعض خصال الميت، وجسامة الفاجعة التي لحقت بذويه، يثني عليه جميل صنيع عمله في الدنيا.

خطبة عبيد الله بن عبد المرى:

وحدث رجل من مزينة قال:(ما رأيت من هذه الأمة أحدا كان أبلغ من عبيد الله بن عبد الله المرى في منطق ولا عظة، وكان من دعاة أهل المصر زمان سليمان بن صرد، وكان إذا اجتمعت إليه جماعة من الناس فوعظهم) بدأ بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم،ثم يقول: "أما بعد: فإن الله اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم على خلقه بنبوته، وخصه بالفضل كله وأعزكم باتباعه، وأكرمكم بالإيمان به فحقن به دماءكم المسفوكة، وآمن به سبلكم المخوفة:**لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ**

1– أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج:2،(مرجع سابق)، ص25– 26.

فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.[1]

فهل خلق ربكم في الأولين والآخرين أعظم حقا على هذه الأمة من نبيها؟ وهل ذرية أحد من النبيين والمرسلين أو غيرهم أعظم حقا على هذه الأمة من ذرية رسولها؟لا والله، ماكان لا يكون، لله أنتم ألم تروا ويبلغكم ما اجترم إلى ابن بنت نبيكم؟ أما رأيتم إلى انتهاك القوم حرمته، واستضعافهم وحدته، وترميلهم إياه بالدم، وتجرار هموه على الأرض؟ لم يراقبوا فيه ربهم ولا قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذوه للنبل غرضا، وغادروه للضباع جزرا، فالله عينا من رأى مثله ولله حسين بن علي ماذا غادروا به؟ ذا صدق وصبر، وذا أمانة ونجدة وحزم، ابن أول المسلمين إسلاما، وابن بنت رسول رب العالمين، قلت حماته، وكثرت عداته حوله، فقتله عدوه وخذله وليه، فويل للقاتل، وملامة للخاذل لأن الله لم يجعل لقاتله حجة، ولا لخاذله معذرة، إلا أن يناصح لله في التوبة، فيجاهد القاتلين وينابذ القاسطين فعسى الله عند ذلك أن يقبل التوبة، ويقيل العثرة، إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل بيته وإلى جهاد المحلين والمارقين، فإن قتلنا فما عند الله خير الأبرار، وإن ظهرنا رددنا هذا الأمر إلى أهل بيت نبينا"

قال:" وكان يعيد هذا الكلام علينا في كل يوم حتى حفظه عامتنا"

وكان الشيعة بالكوفة منذ مقتل الحسين رضي الله عنه(سنة 61هـ) يجدون في جمع آلة الحرب والاستعداد للقتال ودعاء الناس في السر من الشيعة وغيرها إلى الطلب بدمه حتى كثر تبعهم، وكان الناس إلى اتباعهم بعد هلاك يزيد بن معاوية (في 14 ربيع الأول سنة74) أسرع منهم قبل ذلك [2].

1- سورة آل عمران، الآية 103.

2- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج:2، (مرجع سابق)، ص55-56.

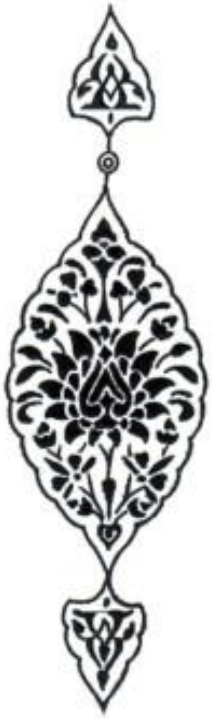

خاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبيمنه وكرمه تدرك الغايات، وبحلمه وعدله تنال اسمى الدرجات وأرفع المقامات.

وبعد: فإنّ قبل فترة مضت، عزمنا على أن ندلي بدلونا، ونغامر بضعفنا للكشف عن بعض أسرار فن الخطابة التي قيل بأنّها والشعر بنفس المفهوم والغاية، وحاولنا أن نمس الجانب الإقناعي فيها، وها نحن قد أشرفنا بتوفيق من الله على النهاية، آملين أن تكون لنا سبيلا إلى بداية أخرى، وتبقى دراستنا هذه غيض من فيض، ومازالت الخطابة فنا غضا طريا، رغم كثرة ما تداوله الناس بحثا وتفتيشا، ونختم هذا البحث بعرض أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا للكتاب:

1) تعد الخطابة عند العرب فنا قوليا نثريا عرف منذ العصر الجاهلي ، وازدهر مع بزوغ فجر الإسلام، فقد شهدت عصور الأدب العربي حضورا لفن الخطابة ، جعلها في مقدمة الفنون النثرية وكان لعصور الأدب العربي القديم حظ وافر من هذا الحضور والاهتمام .
2) يبنى الخطاب على العناصر الآتية: وسائل الإقناع، الأسلوب، ترتيب أجزاء القول.
3) وإذا ما تأملنا في ضروب الخطابة وجدنا أنّ الخطابة الدينية هي حث على تقوى الله، واجتناب نواهيه أمّا الخطابة السياسية ففيها يدعو الخطيب إلى لزوم الطاعة، وتصوير الفتنة في صورتها المفزعة، وما ينجم عنها من بلاء ودمار.
4) الخطابة الاجتماعية تصوير لحالة المجتمع، وما يطرأ عليه من تغييرات على جميع الأصعدة.
5) البراهين الحجاجية في مجملها قسمان: بصناعة (مستكشفة)، وبغير صناعة(جاهزة).
6) أن الأسلوب الخطابي ينبغي أن يراعيه الخطيب بحكمة وذكاء، يتميز بالسهولة والجزالة.
7) أن الخطب ثلاثة أقسام حسب العنصر الصوتي الإيقاعي في القرن الأول: خطب مسجوعة، وخطب بين السجع والإزدواج، وخطب مرسلة.
8) يعتبر ترتيب أجزاء القول من عوامل نجاح الخطبة.
9) أن ظهور الكتابة ارتبط أساسا بأمور الإدارة، وكانت ضرورة ملحة، بها تحفظ المخطوطات، وتصان الدواوين.

10) هدف العمري من تأليف كتابه هذا هو تيسير عملية البحث في مجال الخطاب الإقناعي، بحيث جعل من كتابه مرجعا للدراسات في هذا المجال، حيث سعى إلى الفصل بين بلاغة الشعر و بلاغة الخطاب.

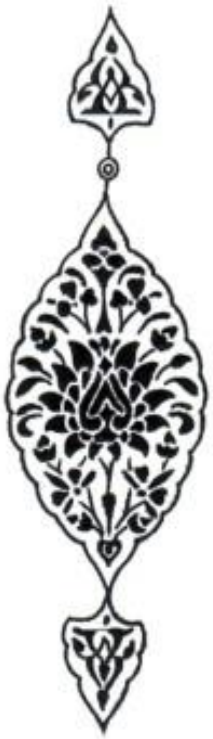

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم: رواية حفص على قراءة نافع.

الكتب:

1. ابتسام بن خراف، تلقي النص البلاغي عند الدكتور محمد العمري مقاربة وصفية تحليلية، مجلة قراءات مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جماعة بسكرة.
2. إبراهيم مصطفى النجار، المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولي، طع:الرابعة 2004، مادة خطب.
3. أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، مصطفى الباني الحلبي – مصر – ج:1، طع:1، 1352هـ/1923م.
4. أرسطو طاليس، الخطابة الترجمة العربية القديمة، تح: عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت دار القلم، بيرو-لبنان-.
5. إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب، دار الكلمة، القاهرة – مصر -،طع: الخامسة 2016.
6. إيليا الحاوي، فن الخطابة وتطوره عند العرب، دار الثقافة- لبنان-
7. ابن تيمية، العقيدة الواسطية، دار ابن حزم، القاهرة، 2009، ط1.
8. الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ج2، طع: السابعة،1418هـ-1998م.
9. الجاحظ، كتاب الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، ج: 1، طع: الثانية،1965.
10. حسن فالح البكور وآخرون، فن الكتابة وأشكال التعبير، دار جرير للنشر والتوزيع، طع:1
11. حسين عبد العالي اللهيبي، الخطابة العربية في العصر العباسي الأول – دراسة موضوعية – فنية، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية العددان (3-4)، مج: (8) 2008.
12. حميد ادم ثويني، فن الأسلوب دراسة وتطبيق عبر العصور الأدبية، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، 2006، ط1.
13. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تج: عبد الحميد هنداوي مج: 01، دار الكتب العلمية، لبنان2003،ط1.

14. عبد الجليل شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق1981،طع1.
15. سحر الخليل، مختارات من النثر العربي، دار البداية، طع: الأولى2011م.
16. عبد الرحمن طه، التواصل والحجاج، المملكة المغربية جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مطبعة المعارف الجديدة.
17. ابن عباس أحمد القلقشند، صبح الأعشى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة- مصر-ج1.
18. عمرفروخ، الأدب العربي القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية،دار العلم للملايين بيروت،ج: 1، طع: الرابعة.
19. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح:مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان-، طع: الثامن، 2005م، مادة خطب.
20. ابن قتيبة، للإمامة والسياسة،www .al.mostafa.com.
21. محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، دار الفكر، القاهرة.
22. 2010
23. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، (الخطابة في القرن الأول أنموذجا).
24. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة للنشر والتوزيع، القاهرة 2001.
25. مصطفى البشير قط، مفهوم النثر الفني في النقد العربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية2010.
26. ابن منظور، لسان العرب، مج: 05، دار صادر، لبنان، ط1.

المذكرات والرسائل العلمية:

1. ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، دراسة تداولية، رسالة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص08.
2. سعدية لكحل، الحجاج في خطابات النبي ابراهيم عليه السلام، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر تخصص أدب عربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.

3. فطيمة بلخيري، البيان في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي، مذكرة لنيل شهادة الماسترأدب عربي قديم، جامعة محمد خيضر – بسكرة –، قسم الآداب واللغة العربية.

4. هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه (دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي، رسالة الماجستير، كلية الاداب والعلوم الانسانية قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة ورقلة.

فهرست الموضوعات

فهرست الموضوعات

الرقم	الموضوع	الصفحة
1	كلمة شكر وتقدير.	
2	إهداءات.	
3	مقدمة.	أ
4	بطاقة فنية.	5
5	مدخل:مدخل لدراسة كتاب (في بلاغة الخطاب الاقناعي) لدكتور محمد العمري	6
6	الفصل الأول: في اسس تصنيف الخطابة وأنواعها.	12
7	المبحث الاول: أسس تصنيف الخطابة.	12
8	المبحث الثاني: الخطابة الدينة التعليمية والسياسية.	23
9	المبحث الثالث: الخطابة في الموضوعات الاجتماعية وشؤون الحياة.	34
10	المبحث الرابع: الأسلوب.	42
11	الفصل الثاني: تقسيمات الخطابة في القرن الأول ونماذج من الخطب.	47
12	المبحث الاول: أنواع الخطب (الخطب المسجوعة وخطب بين السجع والازدواج، وخطب مرسلة).	47
13	المبحث الثاني: في ترتيب اجزاء القول وخطبة الحجاج في أهل الكوفة والشام.	58
14	المبحث الثالث:دراسة وتقويم.	65
15	المبحث الرابع:نماذج من الخطب العربية.	68
16	خاتمة:	74
17	مكتبة البحث.	76
18	فهرس الموضوعات.	80